خْوَانْ مَانْوِيلْ رُّوكَا

# صَانِعُ المَرَايَا

مختارات **شعرية**

**ترجمة:** خالد الريسوني

كتاب الدوحة

# صَانِع المَرَايَا

يُوَزَّع مجّاناً مع العدد (140) من مجلَّة «الدوحة» - يونيو - 2019

**عنوان الكتاب:** خوان مانويل روكا.. صَانِعُ المَرَايَا (مختارات شعريّة)
**ترجمة:** خالد الريسوني

**الناشر:** وزارة الثّقافة والرياضة - دولة قطر
**رقم الإيداع بدار الكتب القطرية:**
**الترقيم الدولي (ردمك):**

**الإخراج والتصميم:** القسم الفَنّي - مجلَّة الدوحة
**صورة الغلاف:** صورة فوتوغرافية لخوان مانويل روكا

هذا الكتاب:
يُعبِّر عن آراء مؤلِّفه، ولا يُعبِّر -بالضرورة- عن رأي وزارة الثّقافة والرياضة أو مجلَّة الدوحة

خوان مانويل روكا

# صَانِعُ المَرايَا

مختاراتٌ شعريّة

**ترجمة:**
خالد الريسوني

كتاب الدوحة

# تقديم

للشعر لُغته المُتفرِّدة، لُغةٌ تسكن سحر الصورة التي تختص باستعارة الواقع وفق قواعد القول الشعري الخاصّة، وهو ما ينتج لنا عالماً مليئاً بالتخيُّلات التي تقول الأشياء والعالم والإنسان بشكل يوازيها في الواقع الفعلي اليومي المرئي والمحسوس، لأن للّغة الشعريّة حميميتها المدهشة التي تبني عالمها الذهني من سحر الاستعارة التي لا تستوعب إلّا بإقامة جسور للتأويلات، الشعر يدخلنا متاهةً برزخية بين الوعي واللاوعي، فكلماته وعوالمه السريّة تشيد بنايات خفيّة تتأسس على الحلم والحدس والقلق والذكرى والأمكنة والظلال والأفعال والصور، وهو ما يخلق لدى القارئ اندهاشاً بالكلمات التي تتخذ معنى آخر أكثر خصباً، وأكثر عمقاً، وأكثر إشراقاً، يقول غاستون باشلار: «الشعر أحد مصائر الكلمة عند تشذيب التملُّك للوعي باللّغة على مستوى القصيدة». وما من شَكٍّ في أن الشاعر الكولومبي خوان مانويل روكا يُعَدُّ ساحر اللّغة بامتياز، فتأمل قصائده يكشف عن عمق تملكه للوعي باللّغة وسحرها حين يحولها إلى قصائد حميمة المعاني،

شفيفة القول، ساحرة لأرواح قارئيها ومدهشة لهم بصورها واستعاراتها القلقة التي تتهم يقينهم وتدعوهم للتأمل بشكلٍ مختلف، شكلٍ يتجاوزُ التأويلات الجاهزة والمعطاة سلفاً للواقع اليومي، إنه يفتح لنا بوابة التخييل ليقدم لنا صورة أخرى عن الواقع، صورة تسمو وتتعالى عن كلّ ما هو تبسيطي فيه، لأن الواقع معقَّد ويستوجب إعمال التخييل لملامسة تفاصيله الحارقة، والشعر لا يكون شعراً إلّا بقراءة المستغلق ومحاولات الكشف والمكاشفة التي تفتحه على معانٍ أخرى جديدة لا تسكن في المهيمن والقريب، بل تتجاوزه إلى الممكنِ والبعيد... علماً بأن خوان مانويل روكا شاعرٌ إنساني العمق، ملتزم بقضايا الإنسان، عفوي وحميمي في تعبيره عن القضايا التي يؤمن بها ويدافع عنها، لكنه لا يتنازل أبداً عن شرط الأدبية في التزامه المبدئي، بل هو يسكن في منفى اللّغة يقيم في تخومها القصوى، ويصوغ قصيدته الشعريّة الإنسانية من كيمياء الصمت وظلال الزمن، حيث تتداخل الذاكرة بالنسيان، والواقعي بالذاتي، والفردي بالجماعي، والحميمي بالتاريخي، والمقروء بالمعيش، والجمالي بالشخصي في هذه الكيمياء التي لا تقيم حدوداً بين هذا وذاك... تقول لوسيا إستراداً:

«إن تجربة خوان مانويل روكا، وهي تقتحم حدود الذاكرة، تستمرُّ في ديمومة الشهادة الاستعارية حَدَّ صيرورتها استعارة بسبب التعقيد الذي تشتمل عليه، يشكلها في ملمحٍ عميقٍ من المعرفة بمحيطها، والذي عند تقاسمه في دلالة القراءةً يصلً حَدَّ التحوُّل إلى تجسيد لشعره، وحسب غاستون باشلار: يصير «الشاعر متحدِّثاً في عتبة الوجود»، وهو هنا الشاعر خوان مانويل روكا، مقيماً في تلك العتبة المُسماة لغة، أو بالأحرى مقيماً في «الشعر باعتباره الشرط الفردوسيَّ للّغة» حسب بول فاليري... إن خوان مانويل روكا، وانسجاماً مع ذاته والتزامه الأخلاقي والسياسي والأدبي، ومع كلّ ما يثيره ويستهويه أيضاً، يشيِّد علاقة حميمية وعفوية مع العالم والأشياء والإنسان، لكن عفويته الشعريّة تبعده بمسافة كافية تجعله ينزاح عن الواقع نسبياً، وبالتالي مع مختلف آثاره المباشرة ليحقق توازناً خلاقاً بين اللّغة

والحياة، أو ما يمكن أن نسميه الحياة داخل الأدب في محاولة لتأسيس حوار بين الجمالي واليومي، بين الشعري والشخصي، وتلعب الذاكرة دوراً أساسياً في إعادة صياغة اليومي والواقعي وترتيبه من جديد في كلمات تحقق للصورة التخييلية أعلى درجات الشفافية والعمق، إن «الذاكرة هي المكانُ الوحيد الذي لا يمكن أن يكون لنا منفى»، حسب تعبير ريشتر، ولذلك نجد في قصائد روكا تأملات عميقة بصدد العالم بمختلف تمظهراته: التوحد والخلوة، الأحلام والكوابيس، اللاطمأنينة والحيرة والريبة والنسيان والقلق الوجودي والحب والسكينة والتلاشي والرحيل والحرب...

فقراءة شعر خوان مانويل روكا تنقلنا إلى توتر الكلمات والصور وهي تستقر في الذاكرة وتسكنها، وتروي ظمأ الشعر إلى نبع متدفق بالرسائل والخطابات والأغاني والمونولوجات، وفضاءات تتحوَّل إلى متاحف للغياب وللمنافي وللهويَّات الممنوعة والمصادرة، وتغدو الاستعارة سرْبالا لكلماته المنفلتة ومرايا لأعماق أرواح وذوات إنسانية تتحسَّسُ العالم والأشياء، وتتألم لفظاعاتها المُتكررة والمُتأبدة.

لكن خوان مانويل روكا هو أيضاً شاعر الميتا شعري بامتياز، فهو مُحاورٌ أساسيٌّ للشعريّة والشعراء في مسارات بنائهم للقصيدة، إذ يحملُ في دواخله روح الناقد العارف بالشعر وتجارب الشعراء الذين رسخوا الحداثة الشعريّة في العالم، مثل لوتريامون ورامبو وبابلو وتراكل وبوريس فيون وشارل سيميك وبول سيلان... وغيرهم، كما يحيلنا على أمهات كتب الإبداع الإنساني بعمق ثقافوي عارف مثلما يحدث مع «الإلياذة» و«الأوديسة» من التراث الإغريقي، أو على «الملك لير»، وغيرها من أعمال شكسبير من التراث الإنجليزي، أو على «ألف ليلة وليلة» من التراث العربيّ.

يقول الشاعر التشيلي غونثالو روخاس في كلمة تقديم لأعمال خوان مانويل روكا المعنونة بـ: «أبجدية الطريق»، جماع الأعمال الشعرية (2014-1973):

«قد أكون قرأتُ العديد من المُتَعلِّمين الذين لا يقولون لك أي شيءٍ، والذين لا يضعونك في لحظة إشراقٍ، ولا يفتنونك، باللاحذق في عملهم. وليس هذا شأن روكا، الذي يعرفُ معنى القول. أن يقول الأرض، أن يقول الزمن، أن يقول العالم. أقرأُ وأعيدُ قراءة هذه الأوراق وأصغي إلى الهُوَّة السحيقة فيها، المُخاطِرةُ، ذاك اللاأحد الذي لطالما جعله يرتَجُّ ولربمَّا ينخطفُ، لأنَّه إن كان ثمَّة مَنْ لا يليقُ أن يتمُّ الإفراطُ في توظيفِهِ ومنذ الأوديسة، فذاك هو هذا اللاأحد، منذ هوميروس وحتى جويس ومنذ ذلك الحين إلى الآن، ممتطياً صهوة حصانه متلبساً لاأحدَهُ هنالك يمضي ويأتي خوان مانويل وأسمع الصهيل يصلُ إلى عنان النجوم».

يشير مانويل بوراس الناشر الإسباني لخوان مانويل روكا إلى أن «شعره يمكن أن يعتبر بحق تأملاً واسعاً بصدد الحرّيّة من خلال الخيال». وقد كتب الروائي الكولومبي أوسكار كواثوس: «لقد رأيت غير ما مرّة في دهشة الشباب الذين يحملون بين أيديهم كتاباً لروكا، كما قرأت مقتطفات من قصائده وقد كتبت على جدران بنايات عامة، وقد عاينت لحسن الحظ التواصل الذي أنشأه الشاعر مع جمهوره. ثمّة شيء ساحر داخل شعره، إنها حساسية جيل»... وقد أشارت لجنة تحكيم جائزة «كاسا دي لاس أميريكاس» أي جائزة دار الأميركتين، وهي تتوج أحد أعمال خوان مانويل روكا عام 2009 وكانت متكوِّنة من (جيوكوندا بيي، خوليا إسكوبار، لويس غارسيا مونتيرو، أندريس بيريث بيرُّوكا، بنخامين برادوس وآنا ماريا رودريغيث أرياس)، إلى قدرته على تطويع الجوانب الشكلية، وتنويعه البنائي للقصيدة في أشكال من البناء المتماسك والمتين في كلّ عمل من أعماله الشعريّة. كما امتدحوا قدرته على تمثُّل الواقع شعريّاً... وفي العديد من المقابلات، اعترف خوان مانويل روكا بتقاليد الكتابة الأميركية-اللاتينية ممثلة بسيزار باييخو وخوان رولفو، وهو أيضاً من الشعراء الذين يعكسون التمثل للنموذج الشعري المنبثق عن الرومانسية الألمانية، والتي سيتم استكشافها لاحقاً من قبل السرياليين الفرنسيين، بقيادة لوتريامون ورامبو. وفيما يتعلَّق بالشعر الكولومبي، فإنه يجد نفسه ممثلاً في العمل الشعري

لخوسيه أسونسيون سيلفا، وأوريليو أرتورو، ولويس بيداليس (الذي هو خاله)، وكارلوس أوبريغون، وهيكتور روخاس هيراثو وفرناندو شاري لارا. ويصنف النُقَّاد خوان مانويل روكا ضمن ما أطلق عليه «الجيل اليائس أو جيل الخيبة» (وهو يتكوَّن من جماعة متنوِّعة من الشعراء الذين ولدوا في الأربعينيات، ونشروا أعمالهم الأولى في السبعينيات من القرن العشرين، دون تصوُّر جمالي مشترك)، وضمن هذا الجيل نتعرَّف على أسماء شعراء مثل ماريا مرسيدس كارانثا، داريو خاراميُّو أغوديلو، خايمي غارسيا مافلا، خوسيه مانويل أرانغو ضمن أسماء أخرى...

ولد خوان مانويل روكا في ميديين سنة 1946. أمضى طفولته في المكسيك وفيما بعد في باريس. وخلال الفترة ما بين 1988 و1999، عمل كمنسق لمجلّة الدومينيكال لصحيفة: «إسبكتادور»، وهي ملحق ثقافي ساهم عملياً في تكوين جيل من الكُتَّاب والشعراء، حيث نشر عدداً كبيراً من القصائد والمتابعات النقديّة والدراسات عن الشعراء الحديثين والمُعاصِرين. وكان أيضاً مُؤسِّساً بالاشتراك مع آخرين لمجلّة «كلابي دي سول»، والصحيفة الثّقافيّة «لا ساغرادا إسكريتورا». وبالإضافة إلى ذلك، قام منذ عام 1986 بتنظيم ورشات عشق الشعر ببوغوتا في بيت سيلفا للشعر. وفي عام 1993 حصل على جائزة سيمون بوليفار الوطنيّة للصحافة ومنحته جامعة الفايي الدكتوراه الشرفية في الآداب سنة 1997. وقد شارك كمحكم في العديد من الجوائز الأدبية الوطنيّة والدوليّة، كما نال عن كتابه: «الأوبئة السرية وقصص أخرى» جائزة القصّة من جامعة أنتيوكيا، وكتب روكا عملاً روائياً وحيداً بعنوان «تلك العادة اللعينة للموت» نُشرت سنة 2003. وهو أحد الشعراء المقروئين بشكل واسع في كولومبيا، بل وفي إسبانيا وأميركا اللاتينية... تُرجمت أعماله إلى الفرنسية والسويدية والألمانية، والإنجليزية، والهولندية والإيطالية...

في مجال الشعر نشر عدة دواوين شعريّة: ذاكرة الماء (1973)، قمر العميان (1976)، نال الجائزة الوطنيّة للشعر جامعة أنتيوكيا، اللصوص الليليون (1977)، رسائل من الحلم (1978) - مع داريو بييغاس، علامة

الغِربان (1979)، كتاب الفروسية (1979) - مع أوغوستو ريندون، كتاب الحكايات الملكي (1980)، مختارات شعريّة (1983)، بلدٌ سريٌّ (1987)، مواطن الليل (1989)، قمر من العميان (1990) - مختارات شعريّة، نورسٌ مع الشيطان (1990)، مونولوجاتٌ (1994)، ذاكرة اللقاءات (1995)، صيدلية الملاك (1995)، مسامرة الغائبين (1998)، مكان التجليات (2000)، الجنازات الخمس لبيسوا (2001) - مختارات شعريّة، شِجارُ الحالم (2002)، مسرح الظلال مع سيزار باييخو (2002)، كمنجة لأجل شاغال (2003)، فرضية لا أحد (2005)، غناءُ الناي (2005) مختارات شعريّة، الملاكُ المُحاصَرُ وقصائد أخرى (2006)، عازف البيانو بلد المياه - مع باتريثيا دوران، ثلاثية كومالا- مع أنطونيو ساموديو، عن روزنامة السيرك - مع فابيان ريندون، وصايا (2008)، الكتاب المُقدَّس للفقراء (2009)، جواز سفر عديم الوطن (2012)، الوجوه الثلاثة للقمر (2013). وقد حصل على العديد من الجوائز والتمييزات الفخريّة من بينها:

- جائزة إدواردو كوت لاموس الوطنيّة للشعر (1975)

- جائزة الشعر الوطنيّة بجامعة أنتيوكيا (1979)

- جائزة أفضل كاتب للمتابعات النقديّة عن الكتب من المكتب الكولومبي للكتاب (1992)

- جائزة سيمون بوليفار الوطنيّة للصحافة (1993)

- جائزة القصّة القصيرة الوطنيّة جامعة أنتيوكيا (2000)

- جائزة الوطنيّة للشعر عن وزارة الثّقافة (2004)

- جائزة دار الأميركتين: «كاسا دي لاس أميريكاس» للشعر خوسيه ليثاما ليما 2007، بكوبا، عن ديوانه «غناء الناي». مختارات شعريّة.

- جائزة دار أميركا للشعر الأميركي 2009، بإسبانيا، عن ديوانه الشعري: «الكِتاب المُقدَّس للفقراء».

- الدكتوراه الفخرية من الجامعة الوطنيّة لكولومبيا سنة 2014.

# القصائد

# رِسالةٌ بِاتِّجَاهِ بِلادِ الغَال

تسْألِينَني أنتِ أيَّتُها السَّيِّدَةُ العذبَةُ
مَاذا أرَى فِي هذِهِ الأيَّامِ عَلى هَذَا الجَانِبِ مِنَ البَحْر.
تَسْكنُني شوارعُ هَذِهِ البِلادِ
هِيَ بالنسبةِ لكِ مَجْهُولَةٌ،
هَذِهِ الشَّوَارِعُ حَيْثُ التَّنَزُّهُ
سَفَرٌ طَوِيلٌ عَبْرَ الحُزْنِ،
وحَيْثُ المُضِيُّ لِتَنْظِيفِ الضَّوءِ
امْتِلاءٌ للعُيُونِ بِالضّمَادَاتِ والهَمْهَمَاتِ.

تسْألِينَنِي
مَا الَّذِي أرَاهُ هَذِهِ الأيَّامَ عَلَى هَذَا الجَانِبِ مِنَ البَحْرِ.
دَبُّوسٌ فِي الجَسَدِ،
ضَوْءُ مُسْتَشْفَى الأمْرَاضِ العَقْلِيَّةِ
يَصِلُ هَادِئاً لِيَجْعَلَ
الجُرْحَ الأعْمَقَ فَاتِراً،
الجُرْحَ المُتَوَلِّدَ عَنْ حَشْدِ أيَّامٍ عَدِيمَةِ اللَّوْنِ.

وَالشَّمْسُ؟
الشَّمْسُ عَقَارٌ قَدِيمٌ امْتَصَّهُ ذَلِكَ الجُرْحُ،
فَأنْتِ تَعْلَمِينَ أيَّتُهَا السَّيِّدَةُ العَذْبَةُ،
أنَّ هَذِهِ البِلادَ فَوْضَى مِنْ شَوَارِعَ وَجِرَاحٍ.

أُطْلِعُكِ عَلَى ذَلِكَ:
هُنَا تُوجَدُ نَخلاتٌ صَدَّاحَةٌ
لكِنْ ثمَّةَ أيْضاً رِجَالٌ مُعَذَّبُونَ.
هُنَا سَمَاوَاتٌ عَارِيَةٌ مُطْلَقاً.
وَنِسَاءٌ مُقوسَاتٌ عَلَى دَوَّاسَةِ آلَةِ سِينْجِرَ
كَانَ بِإمْكَانِهِنَّ أنْ يَصِلْنَ بدَعَساتِهِنَّ المَجْنونَةِ
حتَّى جَابَا وَبُورْدُو،
حَتَّى النِّيبَال وَقَرْيَتكِ الصَّغِيرَة فِي بِلادِ الغَالِ،
حَيْثُ لَرُبَّما كَانَ عَزِيزُكِ دِيلان طُومَاس
يَشْرَبُ الظِّلالَ.

نِسَاءُ هَذِهِ البِلادِ قَادِرَاتٌ
عَلَى رَتْقِ زرٍّ لِلرِّيحِ
وَإلْبَاسِهِ زَيَّ عَازِفِ الأرْغُنِ.

هُنَا يَنْمُو الغَضَبُ وَالسَّحْلَبِيَّاتُ عَلَى حَدٍّ سَوَاء،
أنْتِ لا تَشْتَبِهِينَ فِيمَا تَكُونُهُ بِلادٌ
مِثْلَ حَيَوَانٍ قَدِيمٍ مَحْفُوظٍ
فِي الأشْكَالِ الأكْثَرِ تَنَوُّعاً مِنَ الشّرابِ
أنْتِ لا تَشْتَبِهِينَ فِيمَا يَكُونُهُ العَيْشُ
بَيْنَ أقْمَارِ الأمْسِ وَالمَوْتَى والفَضَلاتِ.

# رِسَالةٌ فِي صُنْدُوقِ بَرِيدِ الرِّيح

دُونَ أنْ أعْرِفَ إلَى مَنْ أوجِّهُهَا،
أبْعَثُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ
الَّتِي وُضِعَتْ في صُنْدُوقِ بَرِيدِ الرِّيحِ.
رِجَالٌ مُعْتِمُونَ
يَطُوفُونَ أمَامَ بَابِي
بِمَعَاطِفَ مُتضخِّمَةٍ
بِزَاوِيَةٍ مُسَدَّسٍ لُوجِرَ،
وَفِي اللَّيْلِ، بَيْنَمَا كُنْتُ أقْرَأُ
شُعَرَائِيَ القُدَامَى المُضَائِينَ بِالأقْمَارِ،
كَسَرَتْ فَصِيلَةٌ
مِنَ الظِّلالِ نَافِذَتِي.

هُمْ لَيْسُوا عَفَارِيتَ.
لَيْسُوا أَشْبَاحَ سُكَّانِ
هَذَا الرُّكْنِ السَّكْرَانِ مِنَ العَالَمِ،
وَمَعَ ذَلِكَ،
فَقَدْ رَأَيْنَا أَنْفُسَنَا نُعْطِي الأَسْمَاءَ الخَاصَّةَ
لِفَرَاغٍ:
ثَمَّةَ حَشْدٌ مِنَ الرِّجَالِ المُخْتَفِينَ
وَشَائِعٌ أَنْ نَسْمَعَ
فِي الشَّوَارِعِ وَفِي الأَمَاكِنِ المُعَتَّمة
أُنَاساً يَتَحَدَّثُونَ
عَنْ هَجْرِ البِلادِ
مِثْلَ سَفِينَةٍ تَغْرَقُ.

دُونَ أنْ أعْرِفَ إلَى مَنْ أوجِّهُهَا،
أبْعَثُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ فِي صُنْدُوقِ بَرِيدِ الرِّيحِ،
مِنْ مَكَانٍ
حَيْثُ شخصٌ مَا يَنْفِي الحُلْمَ،
والضَّحْكةُ مُدَانَةٌ
بِسبَبِ خِيَانَتِهَا المَرَايَا.
لسْتُ أدْرِي مَنِ الذِي أطالِبُهُ
بِفَتْحِ نَافذَتِهُ
حَتَّى تَلِجَ هَذِهِ الرِّسَالَةُ
الَّتِي وُضِعَتْ فِي صُنْدُوقِ بَرِيدِ الرِّيحِ.

## منفيون

يقطعونَ مسالِكَ القطاراتِ
التي في محطاتِها البيضاءِ
يتمُّ السَّفرُ إلى النسيان.
رجالٌ بلفتات مَنْ يعرف
الحدود بين الهواءِ والسجنِ
يتحدَّثون بلغاتٍ غريبةٍ
عن ضوءٍ، وعن ريحٍ جديدة.

# زجاجاتُ غريق

في الغرفةِ الصغيرة التي أعيشُ فيها
مثل يونس في بطنِ الحوتِ،
أُفكِّر: قد تكون القصائد مجرد
رسائل مبعوثةٍ مِنْ قِبلَ غريق،
زجاجات بصرخاتٍ مكتوبةٍ بشكلٍ بئيس
والتي ربما تذهب من بحر الصَّمت
إلى شواطئ النِّسيان.
لكن ها هنا أرمي زجاجةً وأخرى،
والأخيرة مسكونة بمخاوفي.
في الغرفة الصغيرة التي أعيشُ فيها
مثل يونس في بطنِ الحوتِ،
تتبقَّى بضعُ زجاجاتٍ من حادث غرق.

# مكتبة العميان

مُسْتَغْرِقين في طاولاتِهم مِنْ خشَبِ المَاهُونِ،
يَتَصَفَّحُ بَعْضُ العُمْيَانِ الكُتُبَ كَمَا لوْ كَانَتْ آلَةَ بيَانُو
كُتُبٌ بَيْضَاءُ تَصِفُ زُهُورَ بْرَايِ
ذَاتِ العِطْرِ القَدِيمِ.
اللَّيْلُ المَلْمُوسُ الَّذِي يُدَاعِبُ أصَابِعَهُمْ،
هُلْبُ مُهْرٍ بَيْنَ الخَيْزَرَانِ.
تَبَدُّدُ كَلِمَاتٍ يَلِجُ عَبْرَ الأيَادِي
وَيَفْتَتِحُ سَفَراً عَذْباً حَتَّى الأسْمَاعِ.
مُنْحَنُونَ عَلَى ثَلْجٍ مِنْ وَرَقٍ
كَمَا لوْ كَانُوا يَسْتَمِعُونَ إلَى رَكْضِ الصَّمْتِ
أوْ شِبْه مُطِلِّينَ عَلَى الدَّهْشَةِ يُدَاعِبُونَ الكَلِمَةَ
مِثْلَ آلَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ.

يَهْبِطُ المَسَاءُ مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ لِلمِرْآةِ
وَفِي المَكْتَبَةِ الصَّامِتَةِ
تَحْمِلُ خَطَوَاتُ اللَّيْلِ هَمَسَاتِ أسْطُورَةٍ،
هَمَسَاتٍ تَأتِي حَتَّى ضِفَافِ الكِتَابِ،
وَعَائِدَةً مِنَ الدَّهْشَةِ
بَعْدُ مَا زَالَتْ تَرْتَجُّ كَلِمَاتٌ بَيْنَ أنَامِلِهِ قَوِيَّةِ الذَّاكِرَةِ.

# خطبةُ الذي لم يذهب إلى الحربِ

لم أَرَ قط على حظائر الجسرِ
المرأة الحلوة ذات العيون الآشورية
تسلكُ الخيطَ في إبرة
كما لو كانت ترتِّقُ النهرَ.
ولا نساء وحيداتٍ ينتظرن في القرى
أن تمُرَّ الحربُ كما لو كانت محطةً أخرى.
لم أذهب قطُّ إلى الحرب، ولا أحتاج أن أقومَ بذلك،
لأني لمَّا كنتُ طفلاً
سألت دوماً كيف يمكنُ الذهابُ إلى الحرب
ممرضة فاتنة مثل طائر القطرس،
ممرضة كانت تركضُ عبر ممراتٍ طويلة
صرختْ بنعيق طائر دون أن تنظرَ إليّ:
أنت فيها بالفعل يا فتى، أنت فيها.

لم أذهب قطُّ إلى بلاد حظائر الطائرات،
لم أكنْ أبداً حاملاً للأعلام، ولا هو صارا
ولا موجيكاً من بعض السهوب.
لم أسافر أبداً في منطاد عبر بلدان شائكة
وعبر قرى الجنود.
لم أكتب مثل أونغاريتي
رسائل حب في المتاريس.
لم أَرَ شمسَ الموتِ
تشتعلُ في اليابان
ولا رأيتُ رجالاً ذوي رقابٍ طويلة
يتقاسمون الأرضَ في لعبةِ ورق.
لم أذهب قطُّ إلى الحرب، ولا أحتاج أن أقومَ بذلك،
لأرى الجنودَ
يغسلُون البيارقَ البيضاء،
ثم أسمعهم بعدئذٍ يتحدَّثون عن السلامِ
عند أقدام فيلق من التماثيلِ.

# ليلة شجرة الماهون

في ليلةِ شجرةِ الماهون ينمو الأسلُ.
فيها أستمعُ إلى ابتهالاتِ العميان
كما لو أنَّ شجرةً من حروفٍ قدْ تمَّ رجُّها
من عكازاتها الخشنة.
لكن يا للهول، ما الذي يتمُ الاحتفالُ به في الجبلِ؟
الأشجارُ قد ألهبَها البرقُ
تشبه قافلةً متمهلةً من جِمالٍ.
لكن يا للهول، ما الذي يتم الاحتفال به في الجبل؟
الأيل الذي يدورُ ببطءٍ فوق النارِ
أو العرسُ حيث تحملُ العروسُ باقة
من ورقِ البرديِّ.

يزورُني الحُلمُ في ليلةِ شجرةِ الماهون:
في ضواحي الصَّمت، في حاراتهم،
بقبعاتِ بُورْسَالِينُو وبالطِّمَاقَاتِ يلعبُ رجالٌ قدامى
الورق مَختوماً بعلامات الموت.
يُعتِمُ الليلُ زهرةَ القلبِ الحمراءَ.

# أصواتٌ وإشاراتٌ

قد يحدثُ أن تقومَ فتاةٌ
انطلاقاً من الكون بإشاراتٍ
أو يمكن سماع الغيابات
تحت جناح الخيش،
أنغامُ المزامير النائية عن الدوائر
والشظايا عن السماء.
أنغامُ المزامير، أنغامُ المزامير،
الريحُ تنسج فستان الزفاف من الغيابات
مثل بينلوب ليليةٍ بين الورود.
صوتٌ يَحومُ حول مقامي،
صوتٌ يعتقلني مثل غُرابِ ماءٍ قديم
منبهراً بأضواء المنار.

صوتٌ آخرُ يسألُ عنكم
في مدن الهواء
في كثافة نباتات مغيبة الحسِّ،
في النبات الليليِّ الطرِّيِّ.
صوتٌ مَسَّهُ الشَّرابُ القمَريُّ
يصِلُ في السَّفَرِ حتَّى الظِّلّ.

# قصيدةٌ مع اللصوص

I

الليل يمنحُ مأوى لخطواتِ اللص الذي لديه خفةُ
بهلوان على الجدران.

II

يرتعشُ الخنجر، العقفاءُ، قفلُ الرتاج في عتمة
الأكياس والأحزمة.

III

ثمَّةَ لصوص روَّضُوا ظلهم، ظلهم الطيِّع
الذي يتجنَّب الدخول من النوافذ والذي ينتظر في زاوية
الليل الوصول القلقَ لصاحبه.

IV

بعد النهب، يحمل اللصوص في أياديهم باقة من زهر الأدرينالين.

V

ثمَّة مَن رأوا بيتَهُم دونما سقف في الليلة التي لها رائحة اللصوص على الجدران. وفوق أسرتهم، السماءُ زرقاء، عاريةٌ.

VI

لكن ليسَ ثمَّةَ لصٌّ أكثر مهارة من النسيان.

# بينيلوب والنسيان

«اسمي لا أحد وأبي وأمي
ورفاقي جميعهم
ينادونني لا أحد».
عوليس
جاء لا أحد.
من خريطةِ العدمِ، جاء لا أحد.
اهتزَّتِ الأغصانُ، جذامة القمح،
وقمر الصَّدف
التمع فوق بلاد آكلي اللوتس.
من الليلِ أو المطرِ جاء لا أحد.
وفتح صفحاتٍ من أوراقٍ معتمة
تتحدَّث عن أوديسيوس المحتال العظيم،

عن عوليس، مؤسَّس العودات.
عن خرائط متحرِّكة
تعكس في العشب ظلال أشجار الماهون،
جاء لا أحد.
وإنْ بالتهام اللوتس يتم ولوجُ النسيان
وما بين آكلي اللوتس السكارى
يُنسى النسيانُ
وبينيلوب ترغبُ في دخول تلك الممتلكاتِ.

## منذ أكثر منْ عِدَّةِ شموسٍ

كانت أمي تفتحُ كِتاباً
مثل جناحين لأجل التحليق.
على ضفافِ الليلِ
كان شخصٌ ما يشْعلُ القناديل.
وكان المساءُ ينحدر حتى الباحةِ
كما لو أنه يسمعُ نداء.
كانت أمي تحكي الخرافةَ السوداء
لذاك الذي يهرب من المرآةِ،
فارس اللقاح وهو يعبرُ عواصف
ليليَّةً.

إِنْ كانت تغلقُ كتاباً
فقد كان مثلما لو أنها قد أغلقت البيت
وكانَ الليلُ وحدهُ يدخلُ غرفة النوم،
صوته الهادئ الآتي من بلاد الدهشة.

كانت أمي تُغلقُ الكِتاب مثل زهرة الخشخاش،
وبعد ما تزال الحيرة تسكُنُ
الطفل الذي كنته منذ أكثر من شموسٍ عديدة.
ولمَّا على رجْع صوتٍ معينٍ
في عتباتِ الكتاب
تقومُ خيولُ الحربِ برَكلِ السَّماء،
كانَ القلبُ الراكضُ
يقطعُ نهرَ الثلج للسَّرير،
السَّهلَ الأبيضَ الصَّامتَ
الذي يصعدُ إلى هضبة الوسادة.
كانت أمي تُغلقُ الكِتاب
كما لو أنها تُغلِقُ باب البيتِ.

وفي ظليلِ الغرفة، حشدُ
أحلام تُضيئُني.

# السَّاحِرُ

كانَ يُداعِبُ المِعْزَفَ فِي قُضْبَانِ زنْزانَتِهِ
أو يَحْتَسي كأساً دُونَ ماء.
حِصَّةَ عَطَشٍ لا تَرْتَوِي أبَداً.

كانَ يُداعِبُ المِعْزَفَ فِي قُضْبَانِ زنْزانَتِهِ،
ويَحلُمُ أنَّ القُضْبَانَ الغليظَةَ تَرْتَعِشُ
وأنَّ أغْنِيَةً شعبيَّةً تَتَرَدَّدُ ألْحَانُها
مَعَ قَمَرٍ بيْنَ النَّخِيل.

السَّجَّانُونَ كانُوا يَقُولونَ إنَّ الجُنُونَ كانَ يَطُوفُ
لكنْ لا أحَدَ كانَ يَسْتَطِيعُ أنْ يُؤَكِّدَ
أنَّهُ لمْ يَكُنْ هُوَ الذي يُوقِظُ البَاحَاتِ
بِرَكْضٍ جامِحٍ لِخُيُولٍ وَأشْبَاح.

# جولةُ المُرتحِلين

الآن يقومُ الحراسُ بجولتهم في السَّماءِ.
شخصٌ ما يُمشِّطُ ذنَبَ الهلبة أو يطوفُ حول كوكبة القنطورس.
شيء ما يخبرنا أن صوتاً يجتازُ مروجَ الكون
وينزلق مثل الليلِ في زجاج البابِ السُّفليّ.
على الشُّرفات، مع المناظير والتلسكوبات، دبيبٌ
في العيون يبحث عن الحُراسِ.
نعلم أن ليلَ الكونِ ذاته هو الليل القرويُّ
الذي يعبرُ حديقتنا، ونافذتنا.
لكننا نودُّ أن نسألَ المرتحلين، إذا نحنُ غادرنا
مقامنا هل يُسمَعُ نباح الكلاب، وجلبةُ الإنسانِ
في وديان الأرض.

# مواطن الليل

I

لم أسمع أبداً في الليلِ عزفَ البيانو.
يرجُّ القمر الماء
ولربما يهيِّجُ حركات المَدِّ والجزر التي تسكن
الجلد في هروب الرجال،
وإذن، فلنستمع إلى فيض
الجسدِ في اكتمالِ القمر.
لم أسمع أبداً في الليل عزفَ البيانو
ولا رأيتُ السفنَ تعبر
محمَّلة بحزمات القطن،
ولكن هكذا ينزلق الليل في صمتي.

II

القطارات الملتهبة تأخذني عبر بلدان
بهجة الاحتفالات
مُحدثة رنين جِرارٍ معدنية
إذ يلهو الأطفالُ الأنتيليُّون.
وعبر الأنفاق الحجريّة
التي هي ممراتٌ ليليَّةٌ
يرجع صدى أوركسترا القطارات.
لم أسمع أبداً في الليل عزفَ البيانو
وقد قرأت الغجريات في خرائط يدي
أنني لن أسافر أبداً إلى بلد اللوتس.

III

بعيداً، ساحر ما
يصنعُ من عاجٍ قناعَ الليل.

IV

يسافر الليل حتى محطة الندى
البيضاء
أو تقضي وقتها في تعليق الفوانيس
رقصّة الظلال والأغشية.

ماذا يمكنني أن أقول لكم عن الليل!
يمضي في سفرٍ مع الريح
مقررة إلغاء الحدود،
ترحل في سفرٍ من فلوريدا إلى بحر
جافا،
من بحار الجنوب إلى عتبات بيتي.

V

بينما يمرر رجلٌ لسانه
خلف الختم الملصق لِمَلِكةٍ،
الليلُ يأتيني برسائل زرقاء للمسافاتِ.
شيءٌ ما من ملح البارود وصدر حلزون
بذاكرة البحار.
بعضٌ من الطمي وأنسام الصيف.
هواء الرتم واهتياجاتٌ سريَّة جميلة.
تحملُ إليَّ ليل أسفارها.

VI

أنا أقبل جواز سفر الريبة،
الورقة التي تجعلني مواطناً لليل.

الليل يفتح بواباته الفضية
وينزلق تحت بابي
أوراقه الطائرة من البردي،
الأوراق التي تتحدَّث عن حركة الأحلام،
من دلتا لامرئي لأورينوكوس
وببغاوات مثرثرة من الكاريبي.

VII

أسمع تعويذةَ الليل في ضفادعه
وينزلق الوقتُ مثل البارانا
ذي الضفاف البعيدة،
وهو يلمس الزهور البرمائية، والسحلبيات
التي تنمو في قواقعِ السلاحف.

VIII

قليلٌ من القطران.
قليلٌ مِن رائحة البحر ما بين طقوسِ البحارة.
شيْءٌ ما يأتي من بحرِ العَرَّافين
يحملني ليلُ أسفاره.

تَمْضي الليلةُ مُسَخّمَة في إقامتي
الحَوْضَ الأبيض،
اللبن الأبيض المعهودُ إلى الفجر.
في الخارج، في الساحة المُسَوَّرَةِ، يتنزَّهُ
الصباحُ
بعيونِ المَطرِ على الزُّجاجِ.

## سوناتا المطر

(مقاطع)

I

كما لو كان شخصٌ ما قد قطعَ عقداً
من اللآلئ الزائفة
عند أبوابِ المساءِ، يندلعُ انهمارُ البَرَدِ.

II

لا طمأنينة الزَّمنِ
ترِنُّ في الأجراسِ:
يخضرُّ وحلُ الأيام خلف ستائر
المطر
ومن خلال فجوات الماء
تعري المدينة الهواء في النوافذ.

III

يرنُّ طبلُ المطرِ الأسودُ
قرع المظلات
تحت الدفقات، وتحت القنوات المكسورة
للشتاء.

IV

تَنْصَبُّ الطحالبُ على الجدرانِ
مثل شوارب من عسل ماجلان
وتنقيط المطر يهبُ المشهدَ
نغمة مُعَلِّمٍ قديمٍ
يُنحِّفُ الزيوت، يُسَيِّلُ مدينةً،
التماثيلَ المُبللة للمتنزَّهاتِ.

V

شخصٌ ما، قارئ أمطارٍ،
يطلُّ من النافذة
ويفكُّ شيفرة رموز الكِتابة التصويرية الخَافِتة للماء.
هذا مساءُ الريش المتساقط
عشية البرد الذي يُجمِّدُ اللحافات.

# أغنيةُ صانِعِ المَرَايَا

أصْنَعُ مَرَايَا:
أضِيفُ لِلْبَشَاعَةِ مَزِيداً مِنَ البَشَاعَةِ
وَالمَزِيدَ مِنَ البَهَاءِ لِلْبَهَاءِ.
أحْمِلُ فِي الشَّارِعِ مِرْآةً مِنَ الزِّئْبَقِ:
تَنْعَكِسُ السَّمَاءُ فِي المِرْآةِ
وَتَرْقُصُ السُّقُوفُ
مِثْلَ لَوْحَةٍ لِشَاغَالَ.
لمَّا تلِجُ المِرْآةُ بَيْتاً آخَرَ
سَتَمْحُو الوُجُوهَ المَعْرُوفَةَ،
فَالمَرَايَا لا تَحْكِي مَاضِيهَا
لا تَشِي بِسُكَّانِهَا القُدَامَى.
بَعْضُهُمْ يُشَيِّدُون سُجُوناً،
قُضْبَاناً لِلأقْفَاصِ.

أصْنَعُ مَرَايَا:
أضِيفُ لِلْبَشَاعَةِ مَزِيداً مِنَ البَشَاعَةِ
وَالمَزِيدَ مِنَ البَهَاءِ لِلْبَهَاءِ.

# مونولوج الخيَّاط

الأشباحُ لا تُفْزِعُنِي.
تعلَّقُ على الخطافات،
تستريح في الدولاب،
حشد الكائنات دونما جلد
أنا أصنعها.
البدلاتُ مهرجون فارغون.
والريحُ تلِجُ من الشَّارع
وتهتزُ الأشباح
مثل أعلامِ الغرق
وهي تنادي العابرَ:
فلتأتوا إلى كرنفال مَنْ يتحدَّثون
اللّغة الخرساء للأقمشة،
إلى البلاد التي يلبسُ فيها الذئب
جلد الخِراف.

عندما ينزلُ الليل
مثل معطف ثقيل على الأرض،
يستعيد العالم عريَهُ الآدميّ.
شبح يسكن شبحاً آخرَ
إنه الإنسانُ في أسمالهِ
وجسده أيضاً سراب.
بعدُ ما تزالُ لديه بدلة واحدة لارتدائها:
آخرون سيقررون أمِنْ شجر الأرز أم مِنْ شجر السنديان.
مِنْ كُمَّيَّ يتدفَّقُ الليلُ.

# نجمةٌ في الذاكِرة

(إلى فياض خميس)

ينزلُ الليلُ.
وتهوي معه نجْمَةٌ في الذاكِرة.
النهار صُنِعَ من أجل السهوِ والنسيان،
لكن الليلَ، الليلَ الهامس،
يفتح جفنه للذِّكرى.
لا أعرف كائنين
يكرهان جدّاً الذاكِرة:
النهارَ والعُثَّةُ.
النَّهارَ لأنه يمُرُّ مهموزاً بساعات
الإنسان
والعُثَّةُ، لأنها تدخل البيتَ
وتقضمُ زمن الكتب.

لقد شُوهدت في بيتي عثَّةٌ مليئة
بكافكا،
وأخرى واهنة وحزينة
كما لو أنها تناولت عشاءها مع باييخو.
رغم عنادِ الرَّجُل
فهو أسوأ من عناد العثث:
بسبب الكتب الملتهمة وغبار طلع الحروف
الذي تمضي تاركة له على الرفوف
المنسية،
يطبع الرجلُ ذاكِرته
كما لو كانت ليلة الكوكب
آلةُ لينوتيب هائلة.
ينزلُ الليلُ.
ومعه نجمةٌ في الذاكِرة.

# ليلية المُتوحد

«صدى خطوة أو هرولة
جرذ عجوز
كانا سيجعلانني سعيداً،
لأن ما كان يقضمُ قلبي
لم يكنْ يُصدر أي ضجيج».
أ. ف. دي لوبيك ميلوش.

سيقول لهم
إنه يحيى مفتوناً بالضوء،
الذي يجعل العنبَ الأسود لليل
ينفجر في فمِه.
بعض الليالي
مثل فراشاتٍ بيضاء
بأجنحة ملطخة بالشَّراب.
على سقف غرفةِ النومِ، في فتحاتها،
يرى قرى تعبر مع موتاها
عبر المسالكِ الضيقة للأنديز،
وإِنْ كان يمضي مرتحلاً عبر التلال
إنْ نبحت الكلابُ
فليست علامة على أنه يجب أن يركض ممتطياً فرسه
تنام الجيرة
مع المسطارِ والخشبِ
والفتيات يقطرن
مثل شمعة في الليلِ
لا يخِبُّ الجرذُ نحو الحظيرةِ،
لا يفرقع الحَطبُ في النارِ
لا تطقطق الأغصانُ عند مرورِ الرقيب.
ليس ثمَّة أحدٌ في الغرفةِ ولا في الظلِ.

# يوميات الليلية

الليلُ
يُنْشئُ عند مروره أباريق الحلم.
الليليَّةُ تستمع في البُعْد
النبات الذي يتنفس في غاب من التماثيل
أو يحلمُ بملاكٍ
كما لو كان يعزف الناي الجانبي
يلْتهمُ قصباً بين الخشخاش.
يتنامى الليلُ في يومية الليليَّةِ:
في ألبومِ الصور،
أطفالٌ غائبون

يشاهدون الطائر اللامرئي الذي يبرزه رسَّامُ البورتريهات.
هكذا هو الليل:
طائرٌ قبيحٌ لامرئيٌّ بأجنحةٍ سوداء.
يتنامى الليلُ في يومية الليليَّةِ
من جديد يسحب
نحو الغابةِ الطوطمية،
ليلٌ طويل تمسك به بين يديها.

# بيتُ الموسيقى

هنا، بلاد الذاكرة.
في هذه البلاد أعيدَ بناءُ ليالي الكمائن،
أكتب في الماءِ أسماء الأصدقاء
المُتحلِّلين،
ويمنحُ طبلٌ، طبلٌ مسحورٌ
صوتاً لصمتي، ولعمايَ.
شخصٌ ما يأتي بين الظلالِ
أو ملفوفاً في معطفٍ شاسعٍ لِلَّيْلِ
يَحومُ حولَ صوتِ الغائبينَ.
شخصٌ ما يلجُ الموسيقى،
البيتَ الشَّاسعَ الذي تنفتِحُ أبوابُه
لفراديسَ منسيَّةٍ.

# ابتهالاتُ الموسيقيِّ

سانتا سيسيليا،
راعية الموسيقى، كانت عمياء.
ثمَّةَ مَنْ يقولون إنَّ الليلَ
أيضاً كذلك:
أعمى.. وراقصٌ.
أعمى لأنه يمضي متعثراً بالجدران،
وفي السَّواقي،
وراقصٌ، لأنه يصغي إلى موسيقى الهواء،
أصواتَ ترومبيتِ الدوائر ونقَّارة القمر.
سانتا سيسيليا،
إنْ كانت الموسيقى ضوء العُميان،
فامنحي كلماتي قليلاً من الإيقاعِ،
فأينما يوجدُ صخبٌ يسمع عزْفُ كمانٍ،
وأوكارينا.
اِحمي موسيقيِّيكِ، دعيهم يسقطون
في إغواءِ ريحٍ جديدةٍ.

# قنَّاصٌ مُتدرِّبٌ

هيَ ساحرةٌ.
تحلِّقُ في هواءِ غرفةِ النَّوْمِ
كما لو كانتْ عباءتُها تكنسُ ذاكرتي.
وأنا، قنَّاصٌ مُتدرِّبٌ،
لكي أمسكَ بِها أستجوِبُ راويَ الخُرافاتِ،
حاجَّ الغاباتِ.
وهيَ تتجنَّبُ نوَاياي،
تحلِّقُ في دوائر الضباب
فوقَ رأسي المكروبة.

أحياناً أظنُّ أنَّها تصلُ حتَّى مائدتي
مثلَ حيوانٍ شرِسٍ
يرتوي من بِرْكةٍ،
وعندما أحاول فكَّ شيفرة كتابِ أبجديَّتِها
تتلاشى في هواءِ غرفةِ النَّوم.
هي تتجنَّب مكائدِي السَّرمَديَّة،
أشراكي وفخاخي.
هكذا، هي الكلمةُ مُنفلتَةٌ ومُراوِغةٌ.

# مونولوج الراقصّة

أنا الآن زهرةٌ.

وبعدئذ شلالٌ.

طائر سري يملي التحليق

على قدمي الهشتين، فوق المنصَّة.

لو هنالك تحت نعلي

عالم ثابت، فأنا أجْهلُهُ.

هل سيفهمونني لو قلتُ لهم

إنّ قطراتِ العرق أغلى

بالنسبة لي، من القلائدِ؟

الآن أنا نار.

ولمَّا أعود إلى ذاتي،
لمَّا تتوقفُ الموسيقى
وأرى الآخرين، الذين هم مرآتي،
أتهيَّبُ من معرفة أنني كنت زهرة،
كنت شلالاً، وكنت ناراً.

# مونولوج البهلوان

*«إذا وقعت، فسوف تستحق الصلوات الجنائزية الأكثر تقليدية».*

*(جان جينيه)*

بهلوانٌ أنا.
مثل جناحِ الطائرِ
الذي ينتمي إلى جسدِ الهواء
أكثر ممَّا لجسده،
مملكتي في الأعالي.
بهلوانٌ أنا، راعي الهوَّات.

أنا خفيفٌ مثلَ الريشة
لأنني نادراً ما أغُصُّ
ببقايا الوليمة.

إذا فكرتُ فيما يبتلعه
الصقر الملكيّ الأخرق
الذي يحفظ الحداد لذاته،
في تحليقه المنحدر
فوق الخرائب،
أقول إنّ شيئاً منه يكمن في فروة رأسي:
عبدٌ على الأرض، أميرٌ في الهواء.
بهلوانٌ أنا.
حبلٌ متوترٌ واحدٌ فقط يُرْهِبُني:
ذاك الذي يمضي من عزلتي إلى عزلتك.

# مونولوج الغجرية

قرأتُ خطوط كفِّي
ورأيت الموتَ يتجوَّلُ
بين دربين لا مُتوقعين.
منذ ذلك الحين
علَّمْتُ نفسي أن أشبك أصابعي
في كلّ مفترق طرقٍ.
تكهنتُ لرَجُلٍ صامتٍ
بمصيرِه في المقبرةِ.

اللون المتوهج لقميصي
كان يبدو مثل طائر يحترق
على ألواح وملائكة من الجصِّ.
سخرية عابثة، أن تخمِّنَ الآتي
جَنبَ قبر.
حتى لو حاولتُ ذلكَ
فلستُ متكهنة أفضل من الموتِ.

# طبيعةٌ ميِّتَة

أمْشِي فِي الشَّارِعِ بِحَقِيبَتِي الصَّغِيرَة
مِنْ جِلْدِ الظِّبَاءِ
وَبِحَافِظَةِ نُقُودِي مِنْ جِلْدِ العِجْلِ.
أَلْبَسُ حِذَاءً مِنْ جِلْدِ الثَّوْرِ
وأرْتَدِي صَدْرِيَّةً حَمْرَاءَ طُلِيَتْ بِصِبْغِ الأنَاتو
كُلُّ ثِيَابِي غَسَلَهَا نَهْرٌ سِرِّيٌّ
وقِطَعُ صَابُونٍ مِنَ الوَرْدِ،
فِي أوْرَاقِي يَهْمِسُ غَابٌ قَدِيمٌ
أحْيَاناً أحِسُّ
أنَّ ثُعْبَانَ الحِزَامِ يَتَمَطَّى،
ثمَّةَ آثَارُ اليَخْضُورِ فِي أسْنَانِي.
أكْتُبُ بِأقْلامٍ فَحْمِيَّةٍ مِنْ شَجَرِ الصَّفْصَافِ
أتَسَاءَلُ: أيُّ قِطْعَةٍ مِنَ المَنظَرِ الطَّبِيعِيِّ أنَا.

# أمثولة اليدين

هذه اليد تمسكُ ثمرةً،
الأخرى تُبعِدُها.
يدٌ تستلم الصقرَ وتنزعُ القفازَ،
الأخرى تطردُه، تُضيءُ مصباحاً.
يدٌ تكتبُ رسائلَ الحُبِّ
التي يملؤها توأمها السِّيَامِيُّ المُلتبسُ بِالشتائم.
يدٌ تُباركُ، والأخرى تُهدِّدُ.
واحدةٌ ترسمُ حصاناً،
والأخرى، كوجراً يُرعِبُه.
اليد اليمنى ترسم بحيرة:
تُغرقه اليُسرى في نهرٍ من الحبرِ.
يدٌ تكتبُ كلمةَ طائرٍ،
والأخرى تكتبُ قفصه.

ثمَّةَ يدٌ منْ نورٍ تبني السَّلالمَ،
وظُلْمةٌ تُفَككُ الدَّرجات.
لكن الليل يأتي. يأتي
عندما تتعبان من إيذاءِ بعضهما
تقيمانِ هدنة في حربهما
لأنهما تبحثان عنك.

# جداريةُ الأقنعة

عبر الطرقِ العمياء، يوجدُ المنفيُّ، ذاك الذي دونما آثار. في
مدن سماواتها باللونِ الأحمر، والليلية
بعصفورٍ من الظلّ في المرايا.
هكذا كان يغنِّي المنفيُّ: «إذا لم أتملَّك الترابَ فلن يكونَ لي
ظلٌّ، ولن تكون لي سماءٌ. تؤلمني الروحُ وأقاليم
الجسدِ البعيدة».
كانت الليليةُ تكتب كلماته، كلمات مُسْهدٍ في دفترٍ
مُهملٍ: «ترتفعُ أبراجُ المدينة وتنحدر
من خلال عيني لكن أمتلكُ غرفة في النسيان».

الآن أنا الذي لم أكنه. أو ذاك الذي أنا بصدد أن أكونه ويحدث.
أو ما لست أدريه من جسدي. أو ذاك الذي ينظر في المسافةِ
الأعمارُ التي تسكنُ في قفص عظامها. أو ذاك الذي رأى
ملاكاً بلا صوت يطاردُ الصَّمت. أو مَنْ يظنُّ أنه عثر
مرّةً تلو أخرى على المرأة التي تغسل الماء. أو
الذي رأى المُتمرِّد الذي كان يبعثُ رسائل في الريح.
أو المُعطَّل الذي كان ينام على سريرٍ من العشب.
أو خوان الكاتب الموثق
ينبُشُ في سراديب اللّغة.
قد ابتعدت أقنعة الضبابِ هذه دون أن تستطيع إصدار حكم
إعدام النسيان.

## شاهدة قبر مفسد الأفراح

كانوا يسمونني مفسدَ الأفراح
ذاك الذي كان يذكرُ المرآة في بيتِ الأعمى،
ذاك الذي يطلقُ اسم الباهرة في بيت المشنوق
قناصٌ في الليل.

ورغم أنني كنتُ أعشقُ الأفراح
وكنتُ أفضلُ المَزَايَا بلا صورٍ
وأحفظ الاحترامَ «لربطة عنق نيرفال»
وكنت أبحث عن الطلقةِ تجاه الهدفِ القمر،
وأكثر من ذلك كان سيروقني
أن أطلِق النارَ
كنت بلا عملٍ: لا مفتش
أساسات البنايات ولا عامل شحنٍ وتفريغٍ للتفاهاتِ.

في الواقع، كان سيروقني أن أكون
قطة أليس
الذي يتلاشى في الهواء
ويخلِّفُ فقط رَجَّةَ ابتسامته.

# ليلية المُتشرِّد

يقولون
إن الأقدام تفتقرُ إلى الذاكِرةِ،
والخطواتُ التي تلتهمُها الشوارعُ
ليلة بعد ليلة تنتهي إلى النسيانِ.

عبر المراعي الجافة
يمُرُّ المُتشرِّد ملفوفاً في
جسد لم يتمكَّن قط أن يسكنه.
يسقط الظلُّ
يطوفُ المُتشرِّدُ حول نفسه
عندما يخفضُ السوق قضبانه
وثمَّة رائحة المساء الذي يتعفَّنُ.
يقولون
إن الأقدام تفتقرُ إلى الذاكرة،
والخطواتُ التي تلتهمُها الشوارع
ليلة بعد ليلة تنتهي إلى النسيان.

# طوافاتُ النَّهْبِ في بيت السَّيِّد رامبو

*إِنْ كانت البراكينُ قلما تغيِّرُ مكانها، فإن حُمَمَها تقطعُ الفراغ المهولَ للعالم وتمنحهُ فضائلَ تُغنِّي في شطآنها. فعلتَ جيِّداً أنك رحلتَ، يا رامبو!*

*(رونيه شار)*

## فنونُ الصَّمْتِ

أحْيَاناً أعْتقدُ أنِّي أراهُ
بَيْنَ القَبَائِلِ الكُبْرَى المُرْتَحِلَةِ
عَبْرَ المَشَاهِدِ المُتَحَرِّكَةِ لِلجُوعِ.
هُوَ عَائِدٌ مِنْ فُنُونِ الصَّمْتِ.

يَمْضِي جَنْبَ المَوْكِبِ الَّذِي يَهْرَبُ مِنْ بُيُوتِهِ
مِثْلَ مَشْهَدٍ
سَجَنَهُ المَوْتَى فِي قَفَصٍ.

## النَّارُ كانتْ بيتَهُ

لِبِنَاءِ بَيْتٍ ثمَّةَ مَنْ يَبْدَأُ بِالدِّعَامَاتِ
لَكِنْ هُوَ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، أيُّهَا السَّادَةُ
كَانَ مِنْ طِينَةٍ فَاقِدَةٍ لِلصَّبْرِ وَوَقْتُهُ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ بَهِيٍّ،
كَانَ يَبْدَأُ بِنَاءَ بَيْتِهِ مِنَ الدُّخَّانِ المُتَصَاعِدِ مِنَ المِدْخَنَةِ،
وَلِأجْلِ ذَلِكَ كَانَ يُلْقِي دِعَامَاتِ الخَشَبِ،
الأبْوَابَ الدَّائِرِيَّةَ وَالنَّوَافِذَ ذَاتَ السِّحْرِ القَدِيمِ
فِي دَائِرَةِ النَّارِ.

وَحِينَما كَانَ يَرَى حَرِيقاً مِنْ تِلالٍ بَعِيدَةٍ، كَانَ يَفْتَرِضُ أَنَّهُ بَيْتٌ ،
مَلْجَأٌ شَاسِعٌ فِي عِزِّ الازْهِرَارِ.
فَقَدْ كَانَتِ النَّارُ بَيْتَهُ.

## القلمُ الليليُّ

لا أحَدَ كَانَ يَتَخَيَّلُ أنَّ فِي سُتْرَةِ ذَلِكَ المَلاكِ الضِّلِّيلِ
قَلَمٌ مِنْهُ تَتَدَفَّقُ
أبْهَى الإشْرَاقَاتِ.
وَلِكَيْ يُوقِفَ الهَوَاءُ نَزِيفَ الجِلْدِ المُتَشَقِّقِ
كَانَ حُلْمُهُ يَضَعُ عَلَى الأُسْكُفَاتِ
رُؤُوسَ مِيدُوزَا.

مِنْ قَلَمِهِ المُعْتِمِ كَانَتْ تَنْبَثِقُ كُلُّ الطُّقُوسِ
القَدِيمَةِ وَالخَفِيَّةِ،
أغْصَانٌ هَشَّةٌ لِشَجَرَةٍ قَدْ تَيَبَّسَتْ.
لا أحَدَ كَانَ أعْرَفَ بِأولَئِكَ الرِّجَالِ
القَادِرِينَ عَلَى إحْيَاءِ نُعُومَةِ القَصَائِدِ القَدِيمَةِ
وَبِتِلْكَ الأخْرَى، القَتِيلَةِ قَبْلَ بَدْءِ الجُرْحِ.
مُلازِماً لِقَلَمِهِ كَانَ يَبْدَأُ الحَمْلَةَ السَّاخِرَةَ:

تَبّاً لِلرِّجَالِ المُثَبِّتِينَ فِي مَقَاعِدِهِمْ
وَفِي الصَّالاتِ المُتَعَفِّنَةِ بِالمَجْدِ.

لا أحَدَ يَتَخَيَّلُ
أنَّ فِي ذَلِكَ القَلَمِ المَنْهُوشِ تَحْتَ بُرْجِ الجَوْزَاءِ
سَوْفَ تُقِيمُ مَحَطَّةُ الأشِدَّاءِ.

## القَرْيَةُ

بَعِيداً عَنْ أمِّهِ النَّاعِقَةِ وَهِيَ تَجْعَلُ القُمَاشَ القُطْنِيَّ يَنْتَفِضُ،
أفْسَحَتِ القَرْيَةُ الطَّرِيقَ لِمُدُنٍ
سَمَاوَاتُهَا بَعْدُ مَا زَالَتْ مُمَزَّقَةً بِصَهِيلِ حِصَانٍ.
بَعِيداً كَانَتِ القَرْيَةُ القَدِيمَةُ حَيْثُ تمَّتْ
« إدَانَتُهُ مِنْ قِبَلِ قَوْسِ قُزَحٍ».
المَكْتَبَةَ المُغْبَرَّةَ هُنَالِكَ حَيْثُ أسْلَمَ ذَاتَهُ
لِنَشْوَةِ القِرَاءَةِ.
القَرْيَةُ مُنْعَطَفُ الاخْتِنَاقِ،
مَشْرَبِيَّةٌ يَرَى مِنْ خِلالِهَا عُبُورَ الوَدَاعَةِ.
وَحْدَهَا أخْتُهُ إيزَابِيل تُمَوِّجُ المَسَافَةَ
مِثْلَ جَرَسٍ يُقْرَعُ.

# ظِلُّ رامبو

لَيْسَ فِي أيِّ كِتَابٍ مُوجَزٍ لِلتَّكَهُّنَاتِ،
تِلكَ الكُتُبُ الَّتِي تَسْتَحْضِرُهَا العَجَائِزُ وَكُلَّ شَيْءٍ تُفَسِّرُهُ،
يُعْرَفُ مَنْ مَشَى أكْثَرَ:
رَامْبُو أوْ ظِلُّهُ الوَفِيُّ، العَاشِقُ،
ولا مَنْ مِنْهُمَا كَانَ يُحِسُّ دَرْبَهُ مُضَبَّباً أكْثَرَ.

مَنْ هُوَ رَامْبُو، مَنْ هَذَا النَّيْزَكُ؟
لمْ يَصْرُخْ أبَداً صَمْتاً آخَرَ أعْمَقَ
عَبْرَ الخلْوَاتِ، خلْوَاتِ الدَّاخِلِ.
مَنْ هُوَ رَامْبُو،
مَحَطَّةٌ مَجْهُولَةٌ؟
القَوْسُ والسَّهْمُ، الهَدَفُ والطَّلْقَةُ،
التَّحْلِيقُ بِالرِّيشِ إذْ كَانَ يُنَاجِي الصَّبَاحَ.
كانَ لهَا كلُّهَا الإيقاعَ ذاتَهُ لِلصَّمْتِ.

لأجْلِ المُرْتَحِلِ عَنْ ذَاتِهِ
كانَتْ أقْبِيَتُهُ تَفِيضُ
بِزُهُورِ الصَّمْتِ.

آهٍ يَا ظلَّ رَامْبُو، أيُّها الأيْمُ الأبَدِيُّ
«البَسِيطُ جِدّاً مِثْلَ جُمْلَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ».

## أُسَرٌ قديمَةٌ

مثلما مضى أكلُ اللحم البشريِّ، سيمضي الرأسمال.
ها هنا قلبُ مصَّاص الدِّماء، حيثُ يجبُ أن نخبط.
لويز ميشيل
مُتمرِّداً فِي الكُومُونَةِ
كانَ يُشيرُ بأصْبُعِهِ الذي بَعدُ مازالَ الحِبرُ فيهِ طَرِيّاً
إلَى سَادَةِ البَذْخِ.
المُتَظَاهِرونَ بالوَظَائفِ السَّامِيَةِ
كانوا يَصْنَعونَ بالخشبِ ذاتِهِ
بَرَامِيلَ النَّبِيذِ ومِنَصَّاتِ إعْدَامٍ دَقِيقَةً.
عِصَاباتٌ مَسْحُورَةٌ بِرُقَى
مَصَّاصٍ لِلدِّماءِ، تَسْتَوْطِنُ هَوَاءَ اللَّيْلِ.
في أعْمَاقِ المَاءِ
مِنَصَّاتُ إعْدَامٍ جَدِيدَةٌ تَتَلألأُ
في أجْرَانِ التَّعْمِيدِ.
بالسِّجْنِ الصِّنَاعيِّ كان المَحْكُومُونَ

يَصْنَعُونَ شَبَكَةَ قُضْبَانِهِم.
سَيِّدي رَامْبُو:
كيْفَ أغْرِسُ وَتِداً في قلْبِ
مَصَّاصِ الدِّمَاءِ؟

## النُّقَاعَةُ

أخت رامبو،
مثل طائرٍ أبيضَ أعماهُ الثَّلجُ،
تتنقَّلُ بين حشدٍ مِن المسهدين، حاملةً
فنجاناً ساخناً منْ نُقاعَةِ الخشخاشِ.
تينيسي وليامز
أيُّ شَرَابٍ كَرِيهِ الطَّعْمِ كانَ يُمْكِنُهُ أنْ يشْفِيَ
سُعَارَها، سُعَارَ الاسْتِحَالاتِ!
قَدِيماً كَانَتْ قدْ أعْلَنَت
التَّدْمِيرَاتِ الأشَدّ لُزُوماً،
بُلْدَانٌ تَلْتَهِبُ.
والآنَ تَحْتَ أثَرِ عَطَشٍ قَدِيمٍ
كَانَتْ سَتَشْتَهِي نُقاعَةَ المَرْضَى.
مُسْتَنْفَدَةٌ كلُّ السُّمُومِ،

مُستنفَدَةٌ حِصَّةُ الأبَدِيَّةِ،
وأختُهُ، طائرٌ مَكْسُوٌّ بِالثَّلجِ
تبْحَثُ عَنْهُ فِي اللَّيْلِ
بِقَنَادِيلَ مُطْفَأةٍ.

## بَخِيلٌ مِثْلَ البَحْرِ

بَخِيلٌ مِثْلَ البَحْرِ
وَرَغْمَ ذَلِكَ كَانَ يُخْرِجُ
مِنْ وِسَادَتِهِ
كُونْشِيرْتُو السِّحْرِ،
تَبَدُّدَ الأَلْغَازِ.
آهٍ! رَقْصَةُ العَائِدِ إِلَى الخَطَايَا،
رَقْصَةُ السَّاحِرِ
وَهُوَ يَبِيعُ التَّعاويذَ
بَيْنَمَا يَحْتَسِي أَشْرِبَةً مُسْكِرَةً
بِلا مُكُوسٍ فِي مَصْنَعِ الشَّيْطَانِ.
قَدْ كَانَتْ سَاعَةَ الاشْتِعَالِ
فِي البِلَّوْرَاتِ.

# رسالةٌ بلا عودةٍ

أطُوفُ بِبَيْتِهَا نهَّاباً،
بِالرَّافِدَةِ الأسَاسِ لِنَارِهَا.
مِثْلَ صَائِدِي اللُّؤْلُؤ
الَّذِينَ يَعْثُرُونَ فِي قَعْرِ البَحْرِ
عَلَى قِطَعٍ مِنَ المَعَادِنِ الَّتِي تَأْتِي مِنْ عَالَمٍ آخَرَ،
أبْحَثُ فِي بَحْرِهَا عَنْ نَبْتِ الدَّهْشَةِ.
قَدْ جَاوَزْتُ الحِصَارَ
وَدَرَكِيِي اللُّغَةِ،
قَدْ مَضَيْتُ بِتَذْكرَةِ الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ
فِي القِطَارِ الَّذِي تَقُودُونَهُ،
وَقَّادُ الهُوَّةِ.
أعِيشُ لَيْلَةً آهِلَةً بِالطَّلَقَاتِ
فِي بِلادٍ طُرُقَاتُهَا يُصِيبُهَا العَيَاءُ
وَفِي مُنْتَصَفِ المَسِيرِ
تَجْلِسُ تَحْتَ شَجَرَةٍ هَامِسَةٍ
أوْ تَنَامُ عَلَى سَطْحِ الوَهْدَةِ.
وإنْ كَانَتْ سَتَسْخَرُ مِنْ مُحَاوَلَتِي،
ألمَسُ الرِّيحَ، البَابَ المُرْتَجَّ لِبَيْتِهَا الكَبِيرِ.

## فرضيَّاتُ لا أحد

يُمكنُ أن يكونَ الرِّيحَ.
الصَّفحة البيضاء. يُمكن أن يكونَ.
يُمكنُ أن يكونَ ذاكَ الذي يأتي
ممحوّاً بالمطرِ.
الآن أتذكَّرُ رجلاً أعمى
في مساءٍ عذبٍ بفريبورغ.
كان يمضي وحيداً في الثلج
بابتسامةِ غبطةٍ
وعكَّازةٍ جدِّ بيضاءَ مثل النُّدَفِ.

مرَّ بجانبي دون أن يراني:
كنتُ لا أحدَهُ،
شبحٌ في هذهِ المملكةِ المضيئةِ.
يمكنُ أن يحدثَ أن نكونَ
عُميانَ لا أحد.

أن يكونَ لا أحدُ الرِّيحَ
التي تُشرِعُ النَّوافذَ بخبطاتٍ بلا دَوْزنةٍ
لجعلنا نتحدَّثُ لغةَ الأحلامِ.
يمكنُ أن يكونَ ذاك الذي تخلَّى
إلى الأبدِ عن معطفٍ مهجورٍ
في مشجبِ المقهى،
معطفٌ مثلَ رايةِ الفراغِ
الذي يختفي يوماً ما مثلَ صاحبِهِ.
يمكنُ أن يكونَ ذاك الذي لم يكنْ قطُّ،
ذاك الذي لن يكون أبداً،
ذاك الذي تعِبَ مِن أنه كان.

ربَّما يكونُ في بلادِ المختفينَ
الطيفَ الوحيدَ الذي نُسمِّيهِ شبحاً،
ذاك الذي يجعلُ السَّلالمَ

ترتجُّ في اللَّيلِ
أو يُسقِطُ مقلاة في المطبخِ،
ذاك الذي يغيِّرُ موضعَ لوازمِ المائدةِ
التي لا نستطيعُ العثورَ عليها،
لصُّ الأقاصي
يمكنُ أن يكونَ المسافرَ في ذاتِه
المُرتحلَ لذاته.

قد مارسَ مِهَناً في غيرِ أوانها:
يسحبُ أوراقاً في الشَّارع المتوحِّدِ،
يحملُ يوميَّاتٍ متأخِّرَةً
من أقصى جهةٍ إلى الجهةِ الأخرى من المدينةِ،
يجلبُ رائحةً من خارجِ أسوارها إلى المرْكزِ،
يُمزِّقُ ملصقاتِ سينما الأمسِ،
يجعلُ القطاراتِ ترحلُ
فقط بقرعِ جرَسٍ.
يُمكنُ أن يكونَ الرِّيحَ.
الصَّفحة البيضاء. يُمكن أن يكونَ.

# سيرة لا أحد

جديرٌ بالذكرِ مجدُ لا أحد: لم يكنْ له أسلافٌ تحت الشَّمسِ، تحت المطر، وليستْ له جذورٌ لا في الشرقِ، ولا في الغربِ. لا هو ابنُ لا أحد، ولا حفيدُ لا أحد، ولا أبٌ للا أحد، قنصلٌ النِّسيانِ الصغيرُ.

أترون في الصورة العائلية فراغاً، مكاناً شاغراً، فضاءً بين القرابة المحترمة؟ إنَّه لا أحد بلا أثرٍ وبلا سلالةٍ.

جديرٌ بالذكر مجدُ لا أحد قبل الصُّبحِ الأوَّلِ من التاريخ، سلفُ رجالٍ هم اليومَ عشبٌ، من آباءٍ هُمْ آباءٌ آخرون صاروا الآن شموعاً بلا ذبالةٍ.

فلنحتفِ بلا أحد الذي يتيحُ لنا أن نتباهى بأنَّ الواحدَ منا شخصٌ مُهمٌّ.

## كلابُ لا أحد

تتسكَّعُ في الشَّوارعِ،
تنبشُ بقايا النَّهارِ
مثل الذي يمضي إلى مزار السَّهَرِ على الموتى:
كلابٌ قوطيُّون مضروبون بالعِصيِّ أثناءَ القُدَّاسِ،
يومُ أحدٍ مشطوبٌ بالأمطارِ.

بوغوتا تنامُ في أعماقِ الزَّحمةِ
وكلابُ لا أحد
تقتفي آثارَ الأيَّامِ الهاربة،
الظلَّ التَّائهَ لنائبِ ملكٍ.

طفلٌ يوثقُ ذيلَ طيَّارتهِ الورقيَّةَ
عُلبَ الشُّوفانِ
إلى تمثالِ صاحبِيّ
لا يفقدُ كرامتهُ الشَّزراءَ.

الكلابُ بلا سَيِّدٍ
تقطعُ وسط المدينةِ وجنوبها،
المناطقَ حيثُ يمتلكُ لا أحدُ
مملكة نسيانه.

عمَّنْ تنبحُ
في الشَّارعِ الفارغ؟
لِمَنْ تُوَجِّهُ
آذانها المُترنِّحَةَ؟

لرُبَّما تكتشفُ خطواتِ لا أحد
التي غادرَها مرَّةً
ملفوفاً في الضَّبابِ.

# شهادة الرَّسام الصيني

لمَّا هدَّدني الإمبراطورُ الوقورُ
بمَحْوِ شلالٍ من اللوحة،
- كان التخبُّط المتواصل في الماء يُرعب حلمه
وكجليس جيد في الحاشية أطعتُ
دعكتُ سيْلَه.
ومع ذلك،
خبأتُ خلفَ الرَّسم شجرةَ كَرَزٍ
ضفدعاً يطلق نقيقه
الذي كان يلتبسُ على الإمبراطورِ العجوزِ
بنبضات قلبه المنتفض.

على حجابٍ من الكتان رسمتُ نفسي
حين هممتُ برسم حصانٍ.
وبعد ليلةٍ
أفزعتُ الحصانَ بالفرشاة،
فأنا لم أكنْ أتحمَّل صهيله.
بسرعةٍ سأمحو وجهي الغسقيَّ من اللوحةِ الزيتية،
-إمبراطور جسدي-
وسيعرفون أنه من المادة ذاتِها
غياب رجل أو حصان.

# قصيدَةٌ اِجْتاحَها الرُّومانُ

الرُّومانُ كانُوا خُبَثاء
مَلأوا أورُوبا بالخَرائِبِ
المُتآمِرةِ معَ الزَّمَنِ.
كانَ الآتي يُثيرُ اهْتِمامَهُم
الآثارُ أكثرُ مِنْ مَوَاطِئِ الأقدامِ
الرُّومانُ، يا كَسَانْدرا، كانوا مَاهِرين
لمْ يضَعُوا قنَاةَ المِياهِ لِشَقُّوبِيَةَ
كقناةٍ لِلمَاءِ والضَّوْءِ.
بل فكَّرُوا فيها كأثَرٍ،
كَمَاضٍ مُذْهِلٍ.

زَرَعُوا في أوروبَّا مَبَانيَ صَدِئَةً،
تماثيلَ عَديمَةَ الرُّؤُوسِ
اِبْتلعَها مَجْدُ رُومَا.
لم يَبْنوا الكُولِيسيومَ
لتفْتَرِسَ النُّمورُ
على هَوَاها
الَّذِينَ لا يُثِيرُون الشَّهِيَّةَ
ولا لِيَرَوْا أنْصَارَ سبارتاكوسَ
مُخْتَرَقِينَ مِثْلَ فواصِلَ تمْثِيلِيَّةٍ مِنَ الجَحِيمِ
فكَّرُوا في خَرَائِبِهِ، خَرَائِبَ مُتَناسِبَةٍ
فِي الظِّلِّ المَنْهُوشِ للشَّمْسِ المُحْتَضِرَةِ،
صَدِيقِي دِينُو كَامْبَانَا
كان يُمْكِنُ أنْ يُهَاجِمَ بِشَرَاسَةٍ
أحَدَ آلِهَتِهِ المَرْمَرِيَّةِ.

فالرُّومَانُ يَحْمِلُونَ كَثِيراً عَلَى التَّفْكِيرِ،
مثلاً،
حِصَانٌ برُونْزِيٌّ
في السَّاحةِ البَيْضاءِ،
أثناءَ تَرْميمِهِ
عِندَ الإطْلالِ عَلى فَمِهِ المُنفَرِجِ
عَثَرُوا فِي بطنِهِ
على هيَاكِلَ عَظْمِيَّةٍ لِحَمَامَاتٍ
مثل حُبِّكِ
الذي يتحوَّلُ إلى خَرائبَ
كُلَّما حاولتُ أن أعيدَ بناءَهُ أكثر.
فالزَّمنُ رُومَانِيٌّ.

# آخرُ غُرْزَةٍ في الماء

عبثٌ أنْ تَرْتِقَ الماء،
أنْ تضْفِرَ جدائل المطر،
أنْ تطليَ بحيرات من الأصوات
ولوتس من صمت.
نكتب كلمة حنفية،
نتركها مفتوحة
ونحلمُ،
يا شرذمة الأغِرَّاءِ
أن تصيرَ نهراً.

# مِن حزبِ لا أحد

(Nobody knows) [1]

ماذا لو كان لا أحد أحد أسلاف كاسبار هاوزر؟ أو البطل الذي لمَّا يموت يكتشف أن الوطن الوحيد هو الهواء؟ وإن كان هو المجهولُ الذي يحمل زهوراً إلى قبر بارتيلبى؟ وإذا ما كانت السَّاحات المهجورة زوايا لا شيء يسكنها لا أحد؟

(1) لا أحد يعلم

على أبواب مدينتي عثرتُ على كلماتٍ مكتوبةٍ باسمه. وسط شعاراتٍ مرسومة على الجدران وأصواتٍ تتهجَّى خوفها، كان رجلٌ يطوفُ بملصقٍ مكتوبٍ بكتابةٍ خطيَّةٍ لحالة طوارئ:

كلهم يقدِّمون الوعود،

لاأحد يفي بِمَا وعد

صوِّتوا على لا أحد

بعضهم وبَّخَني على التحاقي بشعار «لا أحد». ونظروا إليَّ بارتيابٍ. آهٍ، كان المُتحمِّسون يمرُّون وهم يترنَّمون بالأناشيد، رافعين للأعلام: شرذمة من الكائنات المُهملة. عند هبوط الليل، عادت الساحاتُ لسلطةِ لا أحد.

# صمتُ شهرزاد

يتساقطُ المطرُ على باريسَ
وأنا أموتُ مِنْ فبراير، ومِنَ التَّعَبِ والمسافاتِ القصيَّةِ.
اسمي، والأمر لم يَعُدْ يكتسي سوى قليلٍ من الأهميَّةِ،
مارسيل شوُوب، كاتبُ سيرةٍ فوضويٌّ.

لا أستطيعُ المسيرَ،
فالطرُقاتُ تمَّحي أمامي
ولستُ أنتظرُ أن أبعث بحملةٍ صليبيَّةٍ لجنودٍ من المشاةِ
ولا أحلمُ بغزوِ القبرِ المُقدَّسِ.

بِنُزُولِ الكُتُبيِّين المُكفَهرِّين
والحاخاماتِ القابلين للتجريحِ
ربَّما يكونُ الإرثُ الذي وهبتني إيَّاهُ يدٌ
مِنْ نورٍ لكي أفتحَ كتباً قديمةً
وأخرى مِنْ ظلامٍ لكيْ أشعبَ شمعداناتٍ.

أشفقُ على الجميعِ
بما في ذلك جسدي.
جنبَ سريري حشدُ أشباحٍ
يطوفُ مثلَ دوَّارةِ خيولٍ خشبيَّةٍ بيضاءَ.

في مساءاتٍ ما
يزورُني رسَّامٌ
يرسُمُ خطوطاً مُلتبسةً
مثل خرائطِ يدي،
هو بابلو دونو المُلقَّبِ ببابلو أوتشيلو،
طائرٌ رسَّامُ طيورٍ،
فلورنسيٌّ كثيرُ النِّسيانِ، غريبُ الأطوارِ
ميِّتٌ قلبُهُ مِنَ العزلةِ
ومِنْ حزنِ روحِهِ.

يعبرُ هيروستراتوسُ جنبَ سريري
يريدُ أن يُضرمَ النَّار في البحرِ
وأن يجتاحَ الأبديَّةَ عنوةً.

مِنْ نافذتي
أرى شاعرَ الثَّلجِ القديم،
شحَّاذٌ لا أَقلَّ ولا أكثرَ تحتَ المطرِ.

لستُ وحيداً
وقتَ صلواتِ المساءِ والتوديعاتِ هذا.
أنا أبيضُ، يا سيِّدي، مثل المجذومِ
ومثل إكليلِ أزهارك.

وها قد سكتتْ شهرزادُ وإلى الأبدِ عن كلامها المُباحِ.

## شهادة شهرزاد

هارون الرشيد،
يا أمير المؤمنين،
مولاي:
أسلِّمك صندوقَ
الحكايات التي لم تُرْوَ.
فيه يتم حفظُ حكاية
المرأة التي أنقذت رأسها
بالخيطِ الفضيِّ
للكلمةِ.

هارون الرشيد،
يا أمير المؤمنين،
مولاي:
تخيَّل حكاياتٍ أفضل
رأساً دون أن يتم قطعها.

# شهادة سبارتاكوس

الريح
أهمُّ من سلسلة القطع الفضيَّة المسكوكة.
يعلم ذلك الإمبراطور
الذي كان يشتاقُ لشعبٍ
برقبةٍ واحدة للقطعِ.
يعلمُ ذلك السُّوقة ومجلس الشيوخ،
هم عبيدُ الزمنِ.
ليس ثمَّةَ معاركُ عظيمةٌ
في رمال النسيان.
ليس ثمَّةَ كتبةٌ ولا مُجَالدُون
أكبرُ من الموتِ.

# أمراضُ الرُّوحِ

يَمْنَحُنِي قَمَراً
أنْ أرَاكِ تَعْبُرِينَ نَاصِيَةً
لمَّا تَشْتَعِلُ مَنَارَةُ الجَزِيرَةِ
وَتَنْطَفِئُ مَرَاكِبُ التَّهْرِيبِ.

يَمْنَحُنِي نَهْراً
أنْ أرَى المَوْتَى فِي القِطَارَاتِ الجَامِحَةِ
الَّتِي تُسَافِرُ نَحْوَ بَحْرِ الأنْتِيلِ.

يَمْنَحُنِي غَيْمَةً
أنْ أرَى كَيْفَ يَتَسَلَّقُ الهَوَاءُ
الكَاتِدْرَائِيَاتِ المُصْمَتَةَ.

يَمْنَحُنِي قَارِباً
حِينَ تَعْبُرِينَ مُسَرْنَمَةً
كَمَا لوْ كُنْتِ تَدْفَعِينَ الرِّيحَ

يَمْنَحُنِي كِتَاباً
القِطَارُ الَّذِي يَبْدُو المِحْبَسَ المُنْزَلِقَ لِلَّيْلِ
الآلَةَ الجَبَّارَةَ
الَّتِي تَقْطَعُ وَهْدَتَيْنِ مِنْ ظَلامٍ.

تَمْنَحُنِي نُسُوراً
اللَّيَالِي القُوطِيَّةُ
الَّتِي تَتَكَاثَرُ فِيهَا الشُّمُوعُ وَالمُسُوحُ.

يَمْنَحُنِي مَرْفَأً
حِينَ يَتَقَيَّلُ النَّهْرُ في الظَّهِيرَةِ
بَيْنَ غَابَاتٍ مِنَ الفُلْفُلِ
أو تَحْتَ أذْرُعِ شَجَرَةِ سَنْطٍ.

يَمْنَحُنِي جَنُوباً
سَمَاعُ صَمْتِكِ
الَّذِي يُدَوْزِنُ المُوسِيقَى
بِمُلاحَقَتِهِ المُتَكَتِّمَةِ.

يَمْنَحُنِي إبْرَةً
الظِّلُّ المُنْحَنِي
الَّذِي يَحْيَا مَخِيطاً إلَى بَهَائِكِ.

يَمْنَحُنِي مَكاناً مُعتَّماً
حِينَ أسْمَعُ في الفَجْرِ
مِثْقَبَ الأمْطَارِ.

يَمْنَحُنِي ثَلْجاً
نَحِيبُ طِفْلَةٍ
تَكْسِرُ صَمْتَ الجِوَارِ.

يَمْنَحُنِي مَزْرَعَةَ بُنٍّ
اِسْمُ بِلادِي
مُتَلَفَّظاً بِهِ فِي المَنْفَى.
يَمْنَحُنِي يَوْمَ اِثْنَيْن
التَّفْكِيرُ فِي مَوْسِمِ طَحْنِ
قَصَبِ السُّكَّرِ أوِ الذُّرَةِ.

تَمْنَحُنِي مَلاكاً
الرِّيحُ الَّتِي تَمْلأُ الأوْرَاقَ اليَابِسَةَ
وَبَاحَاتِ الفَجْرِ.

تَمْنَحُنِي النَّارْدِينَ
أنْفَاسُكِ الَّتِي تُزْهِرُ
فِي ظُلَيْلِ الغُرْفَةِ.

يَمْنَحُنِي لَيْلاً
الحِبْرُ السَّائِلُ سَهْواً
عَلَى مِفْرَشِ المَسَاءِ.

يَمْنَحُنِي نَمِراً
الانْقِضَاءُ البَطِيءُ وَالثَّابِتُ
لِلأيَّامِ.

يَمْنَحُنِي غُويَا
زَحْفُ طِفْلٍ
فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا العَالَمِ.

يَمْنَحُنِي إفْرِيقيَا
المِجْذَافُ المَهْجُورُ
المَكْسُوُّ بِالحَرَاشِفِ.

تَمْنَحُنِي بَحْراً
الرَّاقِصَةُ الَّتِي تُطْلِقُ عَلَى الرَّكْحِ
تَمَوُّجَاتِ خَطَوَاتِهَا.

تَمْنَحُنِي خَنْدَقاً
الأغْنِياتُ الشَّعْبِيَّةُ
الَّتِي يُدَنْدِنُهَا بَائِعُ المَحَارِ الصَّدَفِيِّ.

يَمْنَحُنِي حَدِيداً، وَيَمْنَحُنِي بَاوْند،
المِصْعَدُ الفَارِغُ
الَّذِي يَفْتَحُ نَفَقَهُ فِي اللَّيْلِ.

يَمْنَحُنِي رِيحاً
سَمَاعُ كَلِمَةِ نَأْيٍ
مِنْ شَفَتَيْكِ.

تَمْنَحُنِي أمَازُوناً
وَمُتَسَلِّقَاتٍ وَخَرِيرَ مِيَاهٍ
كَلِمَةُ بَلَلٍ.

يَمْنَحُنِي قِطَاراً، وَيَمْنَحُنِي الدَّلْتَا
مُغَنُّو البلُوز
وجُمَاعُ أغَانِيهِمْ مِنْ ظِلالٍ.

# اعترافُ بَطلٍ مُضادٍّ

لمْ أبْلُغْ قطُّ أيَّ مَكَانٍ.
حِينَ كَانَ الرَّحَّالةُ الكِبَارُ يَنْزَلِقُونَ
فِي صَمْتٍ عَمِيقٍ
وَيَرَوْنَ الأرْضَ مِثلَ قَرْيَةٍ تَائِهَةٍ
كُنْتُ أرَى فِي عَتْمَةِ الدَّوَالِيبِ
أقمَاراً صَغيرَةً مِنَ الكَافُورِ.
كَانَ العَدِيدُ مِنْ نَافِذِي الصَّبْرِ يَسْقُطُونَ فِي المَعْرَكَةِ
لمَّا كُنْتُ أهَانُ فِي المَكَاتِبِ المُعْتِمَةِ.

كانَ مُخْتَرِعُو آلَةِ الأحْلامِ
يَتَنَاوَلُونَ العَشَاءَ مَعَ نِسَاءٍ أكْثَرَ فِتْنَة مِنْ ذواتِهِنَّ.
حِصَّةٌ مِنَ اليُتْمِ كَانَتْ قَدْ قُدِّمَتْ لِي طَعَاماً
تحْتَ سُقُوفٍ يَتَسَاقطُ مِنْهَا فُتَاتٌ مِنَ الجِصِّ عَلَى مِفْرَشِ السُّفرَةِ.
لمْ أتَجَاوَزْ قَطُّ النَّاصِيَةَ المُجَاوِرَةَ.

لمْ أكُنِ المُلاكِمَ الَّذِي يَبْتَسِمُ لِلظُّلَيْلِ
لمَّا عَلَى المَذْبَحِ المُرَبَّعِ
يَبْدُو أنَّ الأجْرَاسَ الأخِيرَةَ كانتْ تدْعُو لِلصَّلاةِ.
لمْ أمْتلِكِ الشَّجَاعَةَ لأُسَدِّدَ طلْقَةً ضِدَّ الطَّاغِيَةِ،
لمْ أمْتَطِ حِصَانَ الحَرْبِ الجَامِحَ دُونَمَا سرجٍ
لمْ أقطَعْ حُقولَ ألغَامٍ لأنْقِذَ قَرْيَةً.

اِنْشغَلْتُ بِلَوْكِ خُبزٍ بِلا خَمِيرَةٍ لِكُلِّ الهَزَائِمِ،
في بَعْضِ اللَّيَالِي أتسَاءَلُ أيْنَ تُرَاهُمْ يَسِيرُونَ
أولَئِكَ الَّذِينَ غَيَّرُوا جِلْدَهُمْ أوْ بِلادَهُمْ
بَيْنَمَا أسْتمِعُ لأغْنيَةٍ تَتَحَدَّثُ عَنْ زِيَارَةِ النَّايِ.

# كلماتٌ في الضَّباب

أنَا جَالِسٌ وَسَطَ الضَّبَابِ.
عَلَى كُرْسِيٍّ بِلا شَكْلٍ وَلا لَوْنٍ،
فِي القَاعَةِ المُتَلاشِيَةِ لِفُنْدُقٍ صَغِيرٍ
لِوادي كُوكُورَا.
فِي الحَقِيقَةِ، أنَا جَالِسٌ عَلَى قِطْعَةِ أثَاثٍ مِنْ ضَبَابٍ.
تَحْتَ سَقْفٍ مِنْ ضَبَابٍ وَفِي عَالَمٍ أعْمَى
يَمْحُو سِيرَةَ الضِّفَافِ.
أتَحَدَّثُ إلَى فَتَاةٍ لا أرَاهَا ولا أعْرِفُهَا،
شُؤُونٌ مُبْتَذَلَةٌ، أخْبَارٌ جَدِيدَةٌ عَنِ احْتِبَاسِ الطَّقْسِ
فِي جِبَالِ كِينْدِيُّو.

أعْرِفُ أنَّهَا خِلاسِيَةٌ مِنْ لَهْجَتِهَا وَشَابَّةٌ مِنْ ضَحْكَتِهَا.
مُنْتَصِبَةٌ وَمُتَرَفِّعَةٌ عَلَى ذَاتِهَا،
فَصَوْتُهَا يَهْوِي إلَيَّ مِنْ أعْلَى، مِثْلَ ثَمَرَةٍ نَاضِجَةٍ.
أسْمَعُ انْحِدَارَ الحِصَانِ عَبْرَ طَرِيقٍ مِنَ الحَصْبَاءِ،
وَوَقْعَ حَوَافِرِهِ عَلَى الحَصَى.
لا أرَى هُلْبَهُ وَلا طُقُومَهُ ولا الفَارِسَ
الَّذِي يُيَسِّرُ عُبُورَهُ البَطِيءَ والآمِنَ.
تَسِيرُ الفَتَاةُ بِاتِّجَاهِ إقَامَتِي.

أسْمَعُ صَوْتَهَا قَادِماً
عَبْرَ المَمَرِّ الخَشَبِيِّ،
صَوْتُهَا الَّذِي يَفْتَحُ فِي الضَّبَابِ ضِيَاءً صَغِيراً.
هِيَ تَسْتَقْطِرُ مِثْلَ سَاحِرَةٍ خَلْفَ السِّتَارِ الرَّصَاصِيِّ
فِنْجَانَ قَهْوَةٍ يَخْتَلِطُ بُخَارُهُ بِالهَوَاءِ.
وَلَمَّا تُسَلِّمُنِي الفِنْجَانَ الكَبِيرَ أسْتَرِقُ النَّظَرَ إلَى مِشْيَتِهَا،
بَافْلُوفِيَّةٌ فَظَّةٌ وَخَفِيفَةٌ وَهِيَ تَمْشِي مَا بَيْنَ الضَّبَابِ.
أتَذَوَّقُ القَهْوَةَ وَصَوْتَهَا فِي الآنِ نَفْسِهِ،
مَلْفُوفاً فِي عَمىً عَذْبٍ وَعَابِرٍ.

# في مقهى العالم

فِي الصُّبْحِ،
لَمَّا تَطُوفُ المَدِينَةَ شَمْسُ الصَّحْرَاءِ،
تَغْسِلُ أجِيرَاتُ
المَقْهَى فَضَلاتِ الحَدِيثِ
وَالبُقعَ الَّتِي تُخَلِّفُهَا فِي الشُّقَّةِ
الأصْوَاتُ اللَّيْلِيَّةُ.
شَخْصٌ مَا قَدْ تَكُونُ سَقَطَتْ مِنْهُ فِي الحَمَّامِ
كَلِمَةُ حُبٍّ،
قَدْ لا يَتَحَمَّلُ رَائِحَةَ الأزْهَارِ الذَّابِلَةِ
الَّتِي تَجْتَاحُ جُدْرَانَهُ.

فَلْتَغْسِلْنَ، فَلْتَغْسِلْنَ الكَلِمَاتِ المُرْتَوِيَةَ فِي المِفْرَشِ
أوِ المُتَنَاثِرَةَ مِثْلَ سِيجَارَاتٍ مُطْفَأةٍ
فِي الزَّوَايَا. هِيَ فَقَطْ شَرَارَاتُ أصْوَاتٍ،
رَمَادُ الأفْعَالِ، فَوَاكِهُ مُجَفَّفةٌ.

تُفْزِعُ الأجِيرَاتُ الذُّبَابَ بِصَحِيفَةٍ:
الكَلِمَاتُ لَيْسَتْ جِنِّيَّاتٍ تَتَسَاقَطُ مِنْ شِفَاهِ الحَكَوَاتِيِّ،
ولا جُثَثاً هَارِبَةً نَحْوَ الفَرَاغِ،
لَكِنَّ الذُّبَابَاتِ يَفْرِكْنَ قَوَائِمَهُنَّ
أمَامَ فَضَلاتِهِنَّ الكَئِيبَةِ.

لَرُبَّمَا جَنْبَ قَدَحٍ
كَلِمَةَ بِلادٍ تَسْتَعِيدُ ذِكْرَاهَا
إذْ ثَمَّةَ شَيْءٌ مِنْ خُيُوطِ العَنْكَبُوتِ وَمِنْ خَرَائِبِ الزَّمَنِ،
مِنْ تَهْجِينِ حُلْمٍ وحُزْنٍ
حَوْلَ المَائِدَةِ.

مَا تَزَالُ الكَرَاسِي مَرْفُوعَةً عَلَى أعْقَابِهَا
مِثْلَ آثَارِ عَجَلاتٍ أوْ أهْرَامٍ أو أبْرَاجٍ
لِبَابِلَ صَامِتَةٍ
بَيْنَمَا تَسْتَعِدُّ الأجِيرَاتُ لِكَنْسِ خَرِيفِ الأصْوَاتِ.

كَلِمَاتٌ نُهِشَتْ بِشَغَفٍ
أوْ أُلْقِيَتْ عَلَى قَفَاهَا،
كَلِمَاتٌ تَتلعْثَمُ عَلَى شِفَاهِ الجَرِيحِ
أوْ دُهِنَتْ بِمِيلَانْخُولْيَا لَزِجَةٍ،
فَرَاشَاتٌ أُسْقِطَتْ أثْنَاءَ تَحْلِيقِهَا.

الأجِيرَاتُ يَجْهَلْنَ أنَّهُنَّ يَغْسِلْنَ وَيَكْنِسْنَ الكَلِمَاتِ،
إذْ طَوَّفَ بَعْضُهَا العَالَمَ، مَرَافِئَ وَحَظَائِرَ طَائِرَاتٍ،
لِكَيْ تَأْتِيَ وَتَمُوتَ تَحْتَ الطَّاوِلَةِ.

كَلِمَةُ حُرِّيَّةٍ الَّتِي رَفْرَفَتْ رَايَتُها مِنْ خِرَقٍ
تَتَلاشَى بَيْنَ فَضَلَاتِ اللَّيْلِ
وَلَيْسَ يَسِيراً رَتْقُها بِإِبَرِ المَطَرِ.

لا كِلَابَ وَلا قِطَطَ تَتَشَمَّمُ الأنْقَاضَ
حَيْثُ تَتَكَوَّمُ مُرَادِفَاتُ الإنْسَانِ.

حَتَّى كَلِمَةُ خَوْفٍ
قَدْ غَيَّرَتْ جِلْدَهَا وَلَمْ تَعُدْ تَرْتَعِشُ.

آهٍ أيَّتُهَا الأجِيرَاتُ النَّشِيطَاتُ اللائِي يَضَعْنَ نِظَاماً لِلأشْيَاءِ
وإنْ لَمْ يُسَمِّيهِنَّ أَحَدٌ بِأسْمَائِهِنَّ، أنَا أرَاهُنَّ
يُلَمْلِمْنَ شَظَايَا كَلِمَةِ مَرْمَرٍ،
مَا بَيْنَ نَرْجِسِيِّينَ عُمْيَانٍ
يَتَظَاهَرُونَ بِعَدَمِ رُؤْيَةِ ذَوَاتِهِمْ فِي مِيَاهِ المُسْتَنْقَعِ.
وَكَلِمَةُ مَوْتٍ لا تَرْغَبُ فِي التَّلَاشِي،
تُقَاوِمُ المَوْتَ فِي مَقْهَى اللَّيْلِ.

الأجِيرَاتُ المُهَذَّباتُ يُلَمْلِمْنَ
مَا بَيْنَ أوْرَاقٍ مُجَعَّدةٍ وَظِلَالٍ وخُصلَاتِ شَعْرٍ وأشْبَاحٍ
مَقَاطِعَ اليَوْمِ، سُلْطَانَهُ المُرْتَابَ.
فَلْتَغْسِلْنَ، فَلْتَغْسِلْنَ السُّهُولَ وَالضَّوَاحِي وَالسَّرادِيبَ
وَالأنْهَارَ الجَلِيدِيَّةَ وَالحَدَائِقَ وَالبَاحَاتِ والحَلَقَاتِ
صَدَى الصَّمْتِ الَّذِي يَجْتَازُ اللَّيْلَ.

# مُذَكِّرَاتُ مُثِيرِ الأَحْلامِ

الشِّعْرُ حُلْمٌ مُثَارٌ،
مُهْرٌ مُتَخَفٍّ فِي غَابَةٍ مِنْ ضَبَابٍ،
الطِّفْلُ الَّذِي يَجْلِدُ المَاءَ بِثُعْبَانٍ مَيِّتٍ،
سُطُوحُ المَاءِ حَيْثُ يُسَافِرُ السَّلَمُونُ أَثْنَاءَ فَتْرَةِ التَّسْرِئَةِ،
مَرْكَبٌ مُحَمَّلٌ بِالكَلِمَاتِ
مَنْهُوبٌ مِنْ رُهْبَانٍ وَكَتَبَةِ عُقُودٍ ووثائق،
فَتَاةٌ تُوقِّعُ لَحْناً عَلَى مِعْزَفِ المَطَرِ،
قَبْوُ صَوْتِكَ مَدْهُوناً بِالكُرْفُسِ أَوْ بِالقِرْفَةِ.

الشِّعْرُ حُلْمٌ مُثَارٌ،
جَلَبَةُ خَطَوَاتٍ فِي كَاتِدْرَائِيَاتِ اللَّيْلِ،
امْرَأَةٌ مِنَ الفَيَافِي تَفْتَتِحُ رَقْصَتَهَا
لِتُرْهِبَ بَنَاتِ آوَى،
وَزَّة تُلاحِقُهَا حَبَّاتُ البَرَدِ.

الشِّعْرُ حُلْمٌ مُثَارٌ،
شَبَحٌ يَعْبُرُ الحُدُودَ كَمَا بِيدْرُو فِي بَيْتِهِ،
قِطٌّ، فَوْضَوِيُّ السُّطُوحِ ذَاكَ
وَالَّذِي يَجْعَلُ نِرْفَانَتَهُ العَمِيقَةَ تَنَامُ عَلَى المُتَّكَئِ،
اللَّيْلَةُ الأُولَى لِلرَّجُلِ الَّذِي أُطْلِقَ سَرَاحُهُ بُعَيْدَ السِّجْنِ،
رَجُلٌ يَرْفُضُ أنْ يَسِيرَ فِي جَنَازَتِهِ الخاصَّةِ.
الشِّعْرُ حُلْمٌ مُثارٌ،
شَخْصٌ مَا يَعُودُ إلَى أقَالِيمِ الصَّمْتِ.

# جيلٌ

*حفر بالطريقة السوداء*
*(إلى إيفان داريو وليوبولدو)*

مِنْ شِدَّةِ هَزِّ الأَعْلامِ صَارَتْ أسْمَالاً.
كُنَّا كَثِيرِيَن، مِثْلَ إينِيَاسَ، نَمْضِي بِأبِينَا مَحْمُولاً عَلَى كَوَاهِلِنَا
فِي صِرَاعٍ مَعَ ظِلِّهِ وَمُحَيَّاهُ.
الشَّبَحُ الَّذِي كَانَ يَجْتَازُ العَالَمَ
جَلَسَ إلَى مَائِدَتِنَا وَاقْتَسَمَ مَعَنَا
خُبْزاً عَجَنَّاهُ بِخَمِيرَةِ الحُلْمِ.

كُنَّا نَتَذَكَّرُ لُوِيز مِيشِيل،
طَرِيقَتَهَا فِي الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الخَشَبَ ذَاتَهُ
يَصْلُحُ لِصِنَاعَةِ البَرَامِيلِ مِثْلَمَا لِإِنْشَاءِ مِنَصَّاتِ الإِعْدَامِ.
وَفِي كُلِّ حِينٍ كُنَّا نَلْتَقِي أَخْبَارَ بَاطْمُوس:
مَشَاهِدُ خَرِبَةٌ وَرِجَالٌ يُرَحَّلُونَ
بَعِيداً عَنْ أَقَاصِي المُدُنِ.

مَضَتْ طَاوِلاتُ المَقْهَى تَحْتَشِدُ بِالفَرَاغَاتِ،
وَبِالصَّدَأ طَقْمُ أَدَوَاتِ المَائِدَةِ لِلغَائِبِ.
كَانَ رَائِدُ مَجْلِسِ القِمَارِ الحَالِكُ يُوَزِّعُ أَوْرَاقَ اللِّعِبِ السَّوْدَاءَ
وَعَرَفْنَا أَنَّ المَوْتَ مِثْلَ عَدَّاءِ المَسَافَاتِ الطَّوِيلَةِ،
كَانَ يَتَمَرَّنُ فِي المَلاعِبِ اللَّيْلِيَّةِ الفَارِغَةِ.
وَذَوْماً كَانَ ثَمَّةَ نِسَاءٌ يَغْسِلْنَ المَاءَ،
وَهُنَّ يَجُدْنَ عَلَيْنَا كَيْ نَأْكُلَ رَغِيفَ الفَرَحِ.

كُنَّا نَحْتَقِرُ الخَطَوَاتِ الجَامِدَةَ لِلتَّمَاثِيلِ المَنْحُوتَةِ،
خُيُولٌ مِنَ البرُونْزِ وَشُعَرَاءٌ مِنَ المَرْمَرِ،
فِينُوسَاتٌ مَبْتُورَاتُ الأَذْرُعِ وَهُنَّ يَجْهَلْنَ التَّمَدُّدَ أَوِ العِنَاقَ.
مُسَامَرَةُ ظِلالٍ كَانَتْ تَشْرَبُ عِتْقَ المَنْفَى.

فِيهَا كَانَ مَوجُوداً مَنْ أغْلَقَ البَابَ،
وَمَنْ كَانَ نَبَأً سَيِّئاً فِي نَشْرَةِ أخْبَارِ المَسَاءِ
وَمَنْ لمْ يُقْسِمِ اليَمِينَ قَطُّ بِأنْ يَكُونَ عَرِيسَ المَوْتِ.
وَكَانَ حَظُّنَا نَحْنُ أنْ نَتَعَلَّمَ السِّبَاحَةَ أثْنَاءَ حَادِثِ الغَرَقِ.

# رَجُلُ المِسْلاطِ

(قدَّاسٌ للسِّينما)

فِي الأحْيَاءِ
لَمْ تَكُنِ السِّينِمَا قطُّ خَرْسَاءُ. فِي حَلْقَةِ الثَّرْثَارِينَ
كَانَ رَجُلُ المِسْلاطِ
يَحْكِي أفْلامَ تشَابْلِن،
وَيَمْنَحُ حَرَكَاتِهِ صَوْتاً.

كانَ يُؤَكِّدُ أنَّ الجُنُودَ لمْ يَنْتَصِرُوا قَطُّ
عَلَى خِيرُونِيمُو
وأنَّهُ بَعْدَ فَتْرَةِ العَرْضِ الصَّبَاحِيِّ
كانَ هُنُودُ الأبَاتْشِي يَنْهَضُونَ جَرْحَى،
وينْفُضُونَ الغُبَارَ،
ثُمَّ يَرْكَبُونَ خُيُولَهُمْ، خُيُولَ الرِّيحِ
وَيَمْضُونَ رَاكِضِينَ عَبْرَ السَّهْلِ
فِي الفَتْرَةِ المَسَائِيةِ
ولَيْسَ الأمْرُ كَذلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلبِيضِ
الَّذِينَ كانُوا يَسْقُطُونَ مُصَابِينَ بِالسِّهَامِ إلَى الأبَدِ
حِينَمَا كانَ يَرْغَبُ أنْ يَضَعَ
يَدَهُ المُنْتَقِمَةَ عَلَى سِينَارْيُو الفِيلْمِ،
رَجُلُ المِسْلاطِ
كانَ يَحْلِفُ الأيْمَانَ أنَّهُ بَعْدَ إسْدَالِ السِّتَارِ
كانَ بِيلِي دُكَيْد يَسْتَمِرُّ دَاخِلاً خَارِجاً
بِصَالُونَاتِ تِكْسَاس
إلَى أنْ يَصِيرَ شَيْخاً طَيِّبَ القَلْبِ
ويَمُوتَ الحُكَّامُ صَرْعَى
فِي نَهْرِ الخَيْبَةِ.

على الشَّاشَةِ الصَّغيرَةِ لِلْوِسَادَةِ
كَانَتْ أَفَا غَارْدِنِرْ تَدْخُلُ بَحْرَ أَحْلامِهَا،
أَجْمَلَ امْرَأَةٍ تَسْكُنُ جِلْدَهَا.

رَجُلُ المِسْلاطِ
كانَتْ لهُ فِي جَيْبِهِ يَدَا أُورْلاكَ،
اِحْتَفَظَ فِي غُرْفَةِ المُهْمَلاتِ
بِالسَّيَّارَةِ الَّتِي تَدَحْرَجَتْ بِشَكْلٍ مُرَوِّعٍ عَبْرَ دُرُجَاتِ
رُوسْيَا المَأْسَاوِيةِ. كانَ الطِّفْلُ يُؤَكِّدُ
أَنَّهُ لمَّا كَانَ سَائِراً فِي تِلْكَ السَّيَّارَةِ أَصْبَحَ رَجُلاً
وأَنَّـه كانَ يُمْكِـن أَنْ يَهْـرَبَ مِـنْ دَاءِ الأَسْـقَرْبُوطِيِّ، وَمِـنَ
الطَّاعُـونِ ومِـنِ سْـتَالِينَ.

اليَوْمَ ذَهَبْنَا إِلى جَنَازَتِهِ.
دَفَنَّا سِينِمَا الحَيِّ
وأَطْفَأْنَا المِسْلاطَ إِلَى الأَبَدِ.

# حُزنُ الأشياءِ

زَوْجُ الحِذَاءِ هَذَا
رَافَقَنِي إلَى بِرْكَةٍ
حَيْثُ الصَّوْتُ الوَحِيدُ يُصْدِرُهُ سيِّدٌ
حِصَانٌ يَمْتَصُّ أضْوَاءَ الأقْمَارِ.

مَرَّةً انْتَصَبَا
أمَامَ سَيِّدَةِ المَرْقَصِ اللَّيْلِيِّ،
اِمْرَأةٌ كَانَتْ تَبْدُو
مُمْتَطِيَةً قِطَّيْنِ بمَتْنٍ شَائِكٍ.

زَوْجُ الحِذَاءِ المُهْمَلُ هَذَا
يَنْتَفِضُ وَحْدَهُ
حِينَمَا ينبثقُ صَوْتُ الأمِّ الكَبِيرَةِ طُورِنْتُون
مِنْ مَكَانٍ مَا فِي الجِوَارِ.

حِذَاءَانِ لمْ يَكُونَا لِمُقْعَدٍ
لكِنَّ كَسَلِي كان يُمْلِي عَلَيْهِمَا وصْفَةَ
كَرَنْتِينَةِ الاسْتِرَاحَةِ.

لمْ يكُونا لِشَخْصٍ أُعْدِمَ شَنْقاً
لكنَّهُمَا لمْ يَخُونَا قَطُّ مَيْلَهُ تُجَاهَ الهَواءِ.

صَعَدا مَرَّةً
القاعِدَةَ الصَّغيرةَ لِعُلْبَةِ مَاسِحِ الأحْذِيةِ
في مُنْتَزَهٍ مَنْسِيٍّ.

لكنهُمَا لمْ يَمْتَنِعَا قَطُّ
عَنْ تَحْطِيمِ شَظِيَّةٍ مِنَ البُعْدِ
كُلَّمَا هَوَتْ إلَيْهِمَا مِنَ السَّمَاءِ كُرَةٌ ضَائِعَةٌ.

لمْ يَقِفَا فِي الطَّابُورِ مَعَ قُدَمَاءِ الحَرْبِ
وَظَلَّا بَعِيدَيْنِ عَنْ تَوْزِيعِ كِسَرِ الخُبْزِ اليَابِسِ.

الإسْكَافِيُّ الَّذِي صَنَعَهُمَا
يَجِبُ أنْ يَكُونَ سَلِيلَ
يَهُودِيٍّ تَائِهٍ هَرَبَ مِنْ ذَاتِهِ
خَلْفَ الرِّيحِ الَّتِي تَبْتَلِعُ المَسَافَاتِ.

كَانَا يَتَدَحْرَجَانِ عَلَى هَوَاهُمَا فِي الزّوَايَا المُعتمة
وَفِي المُدُنِ المَجْهُولَةِ
إذْ رَافَقَانِي بَحْثاً عَنْ شَوَارِعَ بِلا عُمْقٍ.

هَذانِ التَّوْأمانِ السِّيامِيَّانِ مِثْل مِرْآتيْنِ
يُسَافِرَانِ فِي شَاحِنَةِ القُمَامَةِ
يَحْمِلانِ سِرَّ الطُّرُقَاتِ المَقْطُوعَةِ
بَيْنَمَا اللَّيْلُ يُخْفِي آلافَ الأحْذِيَةِ تَحْتَ الأسِرَّةِ.

## تعازيم لإقامة تمثال

اكتشف ميغيل أنجلو
أنَّ في كلِّ أحجارِ العالمِ
ثمَّة تمثالٌ نائمٌ،
وأنَّهُ يكفي أن يُزاحَ ما يتبقَّى
للعثورِ عليهِ.

مثلما توجدُ في قلمِ رصاصٍ خيولٌ
وصبايا فاتناتٌ ذواتُ شُعورٍ نائمةٍ،
سلاحفُ متخفيّة أو خارطة كنزٍ.
الأحجارُ تستطيعُ أن تحفظَ داخلَها
صورةَ إلهِ المطرِ،
تمثالَ بطلٍ منسيٍّ،
رأسَ ثورٍ وحشيٍّ
أو ذئباً ينظرُ إلى القمرِ.
يتعلَّقُ الأمرُ بفحصِ
أحجارِ الطَّريقِ بعنايةٍ،
هذا ما يقولُهُ قرَّاءُ الحصى
ومعالجو الطُّرقاتِ.
يتعلَّقُ الأمرُ بنَحْتِها للعُثورِ
على مَنْ يتَخفَّى
وعلى مَنْ يغفو
وعلى مَنْ يخافُ العراءَ
على مَنْ يتكتَّمُ على الكائن الذي يسكنُها،
وإنْ كانتْ هنالك كتلٌ ساخرةٌ
لا تُسْلِمُ أبداً سرَّها،
أحجارٌ ملساءُ، صخورٌ عاليةٌ، حصواتٌ،
قطعٌ من البازلتِ، دموعُ بركانٍ،

أغانٍ متدحرجةٌ
يسمِّيها المستكشفون أحجاراً بواراً.
ليس ثمَّةَ ما يستدعي التَّحرُّرَ من الوهمِ.
سوفَ يجِدُ النَّحَّاتُ الحجرَ الذي ينتظرُهُ
وسيستطيعُ أن يُعِدَّ إزميلَهُ أو مِطرقتَهُ.
حينئذ سيرى كيف سينبثقُ منها
عصفورٌ في قفصٍ، بيسونٌ طاعنٌ في السِّنِّ،
رجلٌ سجينٌ، امرأةٌ مُنْحَنِيةٌ،
قناعٌ من حديدٍ،
قِطٌّ مسلوقٌ وتنِّينٌ
أو الوعلَ الصغيرَ المصابَ برمحٍ
وهوَ ينتظرُ الصَّوتَ الذي يوقظهُ.

## بين خرائب وتماثيل

وجدتُ نفسي صُحبةَ مُنَظِّرٍ
للأشكالِ الرمزيَّةِ.
دون أن أسأله شيئاً
أثبتَ نظريَّتَهُ عن التماثيل العاجزَةِ،
قال لي: «كلُّنا قد رأينا
حشدَ التماثيلِ الجريحةِ،
بلا أذرعٍ، بلا سيقانٍ
وفي أحيانٍ كثيرةٍ بلا رأسٍ»
كان يؤكِّدُ أن 90 %
من كلِّ تلك التَّماثيل المُعاقةِ
وصلتْ إلى هذه الحالةِ المُزرية جداً

بسببِ الحروبِ.
قال لي إنَّ تمثال المرأة بلا ذراعين
التي تبدو في الكتُبِ
فقدتِ الذراعَ اليسرى
بخبطةِ فأسٍ بربريٍّ
واليُمنى
بضربةٍ محتالةٍ لمقصلةِ البحرِ.
وثمَّةَ التي بلا رأسٍ،
حتى وإنْ كانتْ تمتلكُ تيجاناً وأكاليلَ
وبقيَتْ قيدَ الحياةِ معطوبةً
أمامَ معاركِ الزَّمن.

بعضُها نجتْ، حزينة لكنها غير مهزومةٍ،
من حصارات القراصنة ومن المتحفِ البريطانيِّ.
تمثال الدكتور أتل،[1]
الرَّسَّام الأسطوريُّ للرِّياح والبراكين،
له قدمٌ واحدةٌ وهو لا يمشي
رغمَ عكازَتِهِ البرونز القويَّةِ.

(1) هو خيراردو موريُّو (1875-1964) فنَّان وكاتب مكسيكي

لرُبَّما أجملُ التماثيلِ تتخفَّى
منَ المطرقةِ دونَ منجلِ المزاداتِ
وتضطجعُ مغمورةً في متاحفِ البحرِ.
ثمَّةَ جيوشٌ من البرونز
يَلُفُّهَا المعماريُّونَ والهَزَّاتُ
بالضَّبابِ وبالخرائبِ.

يبدو أنَّ الزَّمنَ
يرغبُ في منحها مظهرَ الشَّحَّاذين،
وإنْ كانت لها قامةُ وجمالُ
المنحوتات الإتروسكانيَّةِ والقبليَّةِ
للدِّيانة البُولينيزيَّة وللوثن الإفريقي،
لفَنٍّ كان يرغبُ في تحطيمِ البهاءِ
لكي يخرجَ من التهجينِ والسَّكينةِ.

ومثلما هو الحالُ دوماً يتوصَّلُ إلى ذلك بشكلٍ أفضلَ الأطفالُ
الذين يلعبون في الحديقةِ لعبَةَ التَّماثيلِ:
يُغيِّرون الإيقاعاتِ والأشكال حسب نزواتهم
وينحتون حركاتهم في ورشات الهواء.

# مَعَارِكُ مِنْ وَرَقٍ

أيْسَرُ أنْ تُزِيلَ ألْغَامَ اللُّغَةِ،
أنْ تُلَوِّحَ بِالقَلَمِ سِلاحاً مِثْلَ عَصاً لِجَسِ نَبْضِهِ
وألَّا تَتَطَايَرَ القَصِيدَةُ شَظَايَا،
عَلَى أنْ تَرَى مَقْطُوعِي الأوْصَالِ فِي العَالَمِ،
مَوْكِبَ المُشَوَّهِينَ
مِنْ قِبَلِ تُجَّارِ الحَرْبِ.

أيُّ نَوْعٍ مِنَ المُحَارِبِينَ أنَا
الَّذِي أتَجَنَّبُ ألْغَامَ المَرَاحِيضِ فَقَطْ،
الخَنَادِقَ المُمَوَّهَةَ لِلْحَقَائِقِ الكُبْرَى،
جِرَاحَاتِ أحَدِ القَنَّاصَةِ ظَرْفِ مَكَانٍ أوْ زَمَانٍ،
القُنْبُلَةَ اليَدَوِيَّةَ لِخَطَأٍ مَطْبَعِيٍّ!
أيْسَرُ أنْ تَحْتَمِيَ فِي المَكْتَبِ
كَمَا لوْ فِي خَيْمَةٍ مُرِيحَةٍ،
وَأنْ تُرَاقِبَ مِنْ بَعِيدٍ مُعَسْكَرَ العَدُوِّ مِنَ الشُّعَرَاءِ السَّيِّئِينَ
وَأنْ تُزِيلَ ألْغَامَ ضَجَرِ السَّاعَاتِ اللَّيْلِيَّةِ.
أيُّ نَوْعٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ أنَا،
حَارِسُ لُغَةٍ بَائِسٌ،
سَاعِي بَرِيدٍ بَطِيءٌ لا يَصِلُ أبَداً،
جُنْدِيٌّ مُتَخَفٍّ فِي حِصَانٍ خَشَبِيٍّ يَبْقَى نَائِماً،
أيُّ نَوْعٍ مِنَ الإنْسَانِ أنَا
ذَاكَ الَّذِي يَتَأثَّرُ لِرُؤْيَةِ صُوَرِ مُشَوَّهِي الحَرْبِ
بَيْنَمَا يَعُودُ إلَى طَاوِلَةِ العَمَلِ
فِي صَمْتٍ مُنْكَسِرٍ
وَرَايَةٍ مِنْ وَرَقٍ كَالكَفَنِ!

# اعْتِرَافُ المُتوحِّدِ

مُنْذُ أعْوَامٍ، أعْوَامٍ طَيِّبَةٍ أعِيشُ مَعَ لا أحَد.
دُونَ أنْ أنْتَبِهَ وَدُونَ أنْ أبْذُلَ جُهْداً
تَعَوَّدْتُ عَادَاتِ لا أحَد.
وَعَلَى وَشْكِ إثَارَةِ انْتِبَاهِي
يَحْدُثُ دَوْماً أنَّهُ يَنْدَمُ، لَرُبَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ
حَتَّى لا يَدْخُلَ مُقْتَحِماً صَمْتِي عُنْوَةً.

مِنْ لُغَاتِ بَابِلَ
يَخْتَارُ لا أحَدُ لَهْجَةً حَذِرَةً.
وَلا حِينَمَا أتَعَثَّرُ وَأصُبُّ اللَّعَنَاتِ
يَكْشِفُ عَنْ مُفَاجَأَةٍ أوِ انْزِعَاجٍ.
أنْ أُشْعِلَ مِصْبَاحَ السَّهَرِ
أوْ أتَرَنَّمَ بِلَحْنِ أغْنِيَةٍ قَدِيمَةٍ فِي الصَّبَاحِ
لَيْسَ دَاعِياً لِمُضَايَقَاتِ لا أحَد.

هُوَ لا يَطْرَحُ عَلَيَّ أسْئِلَةً لَمَّا أعُودُ مِنْ سَفَرٍ،
مِنْ مَدِينَةٍ شَوَارِعُهَا لَيْسَ لَهَا قَطُّ مَنَافِذُ
أوْ مِنْ رِحْلَةٍ بَحْرِيَّةٍ عَبْرَ أقَالِيمِ القُرَّامِ.
أنْ تَحْمِلَ زُهُوراً لِلا أحَد هُوَ أنْ تَمْنَحَ الخَرِيفَ أوْرَاقاً،
فَقَدْ صَنَعَ مِنَ الصَّمْتِ بُسْتَانَهُ.

## خارِطَةُ المَشَّاءِ

### (احتفاءٌ بأندري برتون)

قد عادَ مِنْ جديدٍ
مستوطِنُ
الفُصُولِ البرمائية للحُلْمِ،
مَشَّاءُ بابلَ مِنْ مَرَايا.

شخصٌ ما قد رآهُ
يتحدَّثُ إلى لصِّ المَسَافاتِ.

شخصٌ ما يسألُ
مِنْ أيِّ مكانٍ أتَى
حاملاً الليْلَ في عُرْوَتِهِ.

أنا أجهلُ التَّعَازِيمَ
وسِحْرَ صوْتِهِ،
لكنِّي أُحسُّ نِداءَهُ المَجنونَ
إلى الحُبِّ! بلا أُبَّهَةٍ
سواءً أكانَ في السَّريرِ العاجيِّ
أمْ في دِهْليزِ الصَّيْدَلِيِّ.

قد عَبَرَ جِهاتٍ مِنَ الأرْضِ
حيثُ شخْصٌ ما يقرَعُ الأخشَابَ
ويكونُ رعبُ فتْحِها رِتَاجاً.

# مَكْتبَةُ عَجُوزٍ

*(إلى غييرمو مارتينيث غونثاليث في تريلثي، بابل كتبه.)*

هَذِهِ الرُّطُوبَةُ المُدَمِّرَةُ تَأْتِي مِنَ الغَابِ.
بِالدُّمُوعِ الَّتِي تُذْرَفُ فِي بَيْتِ مُصَمِّمَةِ الأَزْيَاءِ
كَانَتْ تَقْرَأُ بِعُيُونِ دَبِسِ السُّكَّرِ صَفَحَاتٍ مُمْطِرَةً مِنْ رِوَايَةٍ فِكْتُورِيَّةٍ.
الطَّبْعَةُ التَّالِفَةُ ذَاتُهَا
عَبَرَتِ البُيُوتَ المُسْهَدَةَ لِلْقَرْيَةِ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ
حَتَّى تَحَوَّلَتْ إِلَى مِنْدِيلِ بُكَاءٍ،
مَكَانُ لِقَاءَاتِ الفَتَيَاتِ مُصَادَفَةً وَصَيَادِلَةٍ صَارِمِينَ.
هَذِهِ المَكْتَبَةُ لَيْسَتْ مُسْتَوْدَعَ جُثَثٍ،
هَذَا قَبْوُ كُتُبٍ لِرِجَالٍ مَفْقُودِينَ
بَيْنَ أَلْوَاحٍ مُلْتَبِسَةٍ وَمَقَارِئَ مِنْ خَشَبِ الأَرْزِ.

هَذِهِ الكُتُبُ عُثِرَ عَلَيْهَا فِي إِعَادَةِ بَيْعٍ لِلتَّكَهُّنَاتِ
كَانَ قَدْ دَاعَبَهَا مِنْ قَبْلُ زُمْرَةُ قُرَّاءٍ أَكْثَرُ تَلاشِياً مِنْ حِبْرِهَا ذَاتِهِ.
يَعْلَمُ ذَلِكَ الكُتُبِيُّ الَّذِي يَنْفُضُ الغُبَارَ عَنْ صَفَحَاتِهَا،
وتُعِيدُهُ الآثَارُ الَّتِي عَاشَتْ مِنْ بَعْدِ مَالِكِيهَا.

مُجَلَّدُ مِيلْفِيلَ الَّذِي تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ اليُودِ
مِثْلَمَا فِي جَمِيعِ مَوَانِئِ العَالَمِ،
عَثَرَ عَلَيْهِ مُقْتَنِصُ كُتُبٍ فِي سُوقِ الحِيتَانِ بِفَالْبَارَايِسُو.
البَحَّارُ الفَظُّ سَيَنَامُ قَيْلُولَتَهُ
حَتَّى تَفْتَحَ البَيْت الطَّافِيَ لِكِتَابِهِ
وَتَرَاهُ يَعْرَجُ بَيْنَ المَرَاكِبِ الشِّرَاعِيَّةِ وَالدُّرُوعِ
قَائِدَ سَفِينَةٍ رَثَّةٍ مِثْلَ كُوخٍ بَحْرِيٍّ.

تَعْبُرُ أَبْوَابَ الكِتَابِ
والرُّبَّانُ الشَّرِسُ المُبْحِرُ فِي مَخَاوِفِهِ
البَاحِثُ عَنِ الحُوتِ الأَبْيَضِ فِي غَشْيَةِ الضَّبَابِ،
سَوْفَ يَأْتِي مُتَسَرْبِلاً بِالغَمَامِ وَالأَسَى.
قَارِئٌ شَبَحٌ يُسَطِّرُ عَلَى المَشْهَدِ الطَّبِيعِيِّ.

# الحَالَةُ الغَرِيبَةُ لِلْجَسَدِ

جَسَدِي، مِثْلَما في رِوَايَةٍ سَوْدَاءَ، يُلاحِقُنِي. أيْنَمَا أذْهَبُ يَذْهَبُ مَعِي. يَقِيسُ خَطَوَاتِهِ عَلَى خَطَوَاتي، يُزَوِّجُ ظِلَّهُ إلَى ظِلِّي. وَلِكَيْ يُفَاجِئَنِي يَعُودُ إلَى كُتُبِ السِّرِّ القَدِيمَةِ. يَتَجَسس مُتَوَارِياً مُخْتَبِئاً في يَاقَةِ مِعْطَفِهِ، يَتَّبِعُ العَادَاتِ البُولِيسِيَّةَ القَدِيمَةَ، بَدْءاً بِالتَّخَفِّي خَلْفَ جَرِيدَةٍ وإلَى أنْ يَنْصِبَ لِي شَرَكاً بِحَسْنَاءَ مَمْشُوقَةِ القِوَامِ ذَاتِ شَعْرٍ أحْمَرَ. في لَيْلَةٍ مَا أجِدُهُ بَغْتَةً عِنْدَ انْعِطَافِ النَّاصِيَةِ، أجِدُهُ جِدَّ مُتَعَجْرِفٍ لِكَيْ أحَيِّيهِ مِثْلَ أحَدِ مَعَارِفِي القُدَمَاءِ. يَجِبُ عَلَيَّ أنْ أتَقَبَّلَ أنْ يَتْبَعَنِي فِي كُلِّ الجِهَاتِ.

# المُعَامَلاتُ القَدِيمَةُ

لمْ أكُن أبَداً أعْرِفُ مَنِ الَّذِي أتَّهِمُهُ عَلَى سُوءِ التَّحَكُّم في جَسَدِي، فُضُولِيٌّ لا يَصْلُح مُرْشِداً في المُدُنِ، لأنَّه وَهُوَ يَرْغَب أنْ يَأخُذَنَا في نُزْهَةٍ عَبْرَ الحَدَائِق يَسْحَبُنَا دَوْمَاً نَحْوَ الأمكنة المُعتمة. في الحَقِيقَةِ لَمْ أكُنْ أعْرِفُ مَنْ الَّذِي كَانَ يَسْحَبُ مَنْ، لكِنَّ مَشْهَدَهُ المُتَكَرِّرَ كَانَ يُصِيبُنِي بِالسَّأم: نَفْسُ الوَجْهِ الصَّبَاحِيِّ في المِرْآةِ، وَنَفْسُ البَسْمَةِ المَائِلَةِ المَزْهُوَّةِ. كُنْت أفْتَرِضُ أنَّ في أعْماقِ جِلْدِي، دَاخِل قَوْقَعَتِي غَيْرِ الثَّابِتَةِ، كَانَتْ تَنْمُو بِلَادٌ بِسُهُولٍ شَاسِعَةٍ وأرَاضٍ مُنْخَفِضَةٍ، وَلَكِنِّي لمْ أكُنْ أعْرِفُ عَلَى وَجْهِ اليَقِينِ مَا إذَاً كَانَ سَاكِنُهَا الوَحِيدُ حَاكِماً لَهَا أوْ مَحْكُوماً، مَلِكاً أوْ تَابِعاً، مِنَ الحَاشِيَةِ أوْ قَاتِلَ المَلِكِ. لمْ أكُنْ أبَداً أعْرِفُ مَنْ أتَّهِمُ عَلَى سُوءِ التَّحَكُّمِ في جَسَدِي. أحْيَاناً، وَمِثْلَ ذيُوجِينَ، كُنْتُ أحَاوِلُ أنْ أُلْتَقِيهِ بِمِصْبَاحٍ مبعوجَ بِطَرِيقَةٍ مَشْدُودَةٍ إلَى الدَّاخِلِ. حَشْدٌ كَانَ يَعِيشُ مَكْبُوساً فِي صَمْتِي، كَانَ يَدْعُو كُلَ حِينٍ إلَى تَمَرُّدٍ لِمُطَالَبَةِ جِلْدِي بِتَغْيِيرِ القِيَادَةِ.

آهٍ، يَا لَهُ مِنْ عِنَادٍ، عِنَادُ جَسَدِي، غَيْرُ مُجْدِ البَتَّةَ أنْ أحَاوِلَ تَرْكَهُ مَحْبُوساً بِالمِفْتَاحِ فِي البَيْتِ المُحَصَّنِ الَّذي بَنَيْتُهُ وَسَطَ العَدَمِ. بَعْدَ سِتِّينَ رُوزْنَامَة، بِسَبَبِ التَّعَبِ أوْ بِسَبَبِ العَادَةِ، أسْتَسْلِمُ، وَأضَعُ أسْلِحَتِي فِي المَعْرَكَةِ الدَّامِيَةِ لِعِظَامِهِمْ. نُوَقِّعُ عَلَى اتِّفَاقٍ قَبِلْتُهُ مِثْلَمَا أقْبَلُ رَفِيقاً قَدِيماً فِي اللَّعِبِ، مِثْلَ الظِّلِّ الَّذي لا يُمْكِنُنَا تَجَنُّبُه، وَمِثْلَ ذَلِكَ الجَارِ الوَاهِنِ الَّذِي لا يَمَلُّ مِنْ سَرْدِ الحِكَايَاتِ المُضْجِرَةِ لِحَيَاتِهِ. وَحَسَناً كَانَ، لَقَدْ حَانَ وَقْتُكَ، أيُّهَا الجَسَدُ القَدِيمُ المُثَابِرُ، رَفِيقُ المُغَامَرَاتِ وَاللَّيَالِي المُسْهَدَة. أنَا أغْفِرُ لَكَ العَثَرَاتِ وَسَقَطَاتِ الدُّمَى المُدْهِشَةِ، أعْذُرُ لَكَ حُضُورَكَ المُزْعِجَ وأنْتَ تَلْتَمِسُ مِنِّي فِي غَيْرِ أوَانِهِ أنْ آخُذَكَ فِي نُزْهَةٍ، وأنَّ لَدَيْكَ رَغْبَةٌ فِي الرَّقْصِ، وأنْ أضَعَ عَلَى جَسَدِكَ مِعْطَفاً يَحْمِيكَ مِنَ البَرْدِ. والشَّكْوَى الأبَدِيَّةُ مِنْ أنَّ الظِّلَّ الَّذي تُلْقِيهِ يَفْتَقِرُ إلَى ظِلٍّ كَاسَانْدْرَا.

## مونولوج خوسيه أسونثيون سيلفا

إلى ريكاردو كانو غافيريا
المدينةُ التي تحيطُ بي
وتتضاعفُ في بِرَكِ المَطَرِ
لها لِباسٌ مِنْ ظِلالٍ،
تخدِشُ الرِّيحُ، الَّتِي تأتي من فَلَواتِ
كُرُوثْ بِيرْدِي بِسُتْرَتِها اللَّيْلِيَّةِ
السَّوْداءِ، زُجاجَ البَيْتِ،
تتسَلَّلُ عَبْرَ أبْراجِ الأجْرَاسِ
تخبِطُ
المِقْرَعَاتِ البرونزيَّةَ لأبْوابِ الكَانْدِيلارْيا.

تلكَ الرِّيحُ، تلك الرِّيحُ هِيَ رُوحِي
ما بين هُدْنَاتِ صمْتٍ قريبةٍ
تُدوِّي حُروبُ البِلادِ
بينما يُخَشْخِشُ القِنديلُ
الذي أضيءُ بهِ كُتُبي الملتبِسَةَ
عَنِ النِّجَارَةِ.

تلكَ الرِّيحُ، تلك الرِّيحُ هِيَ رُوحِي
تَهْمِسُ حَلَقَاتُ المُثَرْثِرِينَ مِنْ كائناتٍ
مُقَنَّعَةٍ عند عُبُوري. وُجوهٌ ثابِتةٌ في المَشْهَدِ،
تمَاثيلُ مِنْ ثلجٍ عند مَدْخَلِ كنيسةٍ
مَانِيكَاناتٌ
بالكادِ يُحَرِّكُها سِكِّينُ الفلاةِ
البَارِدُ
تلكَ الرِّيحُ، تلك الرِّيحُ هِيَ رُوحِي
مَنْ يَرسُمُ في قميصي خَريطةَ القلبِ؟
مَنْ يَخُطُّ مركزاً في طريق حُمَّايَ؟
الأختُ المَيِّتة تعْبُرُ الباحَة:
صوتُها صارَ ينْتمِي
للبناياتِ السِّرِّيَّةِ للفَراغِ.
تلكَ الرِّيحُ، تلك الرِّيحُ هِيَ رُوحِي

القرْيةُ يتمَطَّى جِلْدُها، جِلْدُ الخَشْخَاش،
تُسَرِّبُ ضَوءاً على جَنَباتِ السَّاحةِ
في ساعة تبدو فيها المدينةُ حَيَّةً.
أتحدَّثُ عَنْ تأنِّيهَا، عَنْ ثَبَاتِها المُدْهِشِ:
بينما تُخْتَمُ حَركَةُ رَجُلٍ
يحْمِلُ فنجاناً من الطَّاوِلَةِ إلى فَمِهِ،
يَعْبُرُ الأبديَّةَ، يُغَيِّرُ العَالمُ
الفُصُولَ،
تَمْضِي الحُرُوبُ، ثمَّةَ أوقاتُ آتِيَةٌ هارِبَة
والرَّجُلُ لا يُنْهِي المَوْقِفَ
الذي يُذَوِّبُ شفتيْهِ في فِنْجانِ القهوَةِ،
يبدو الجميع مصاباً بِلوْثَةِ سِحْرٍ
لرُبَّما يَرَوْن في سكينَتِهِ
الطَّائرَ اللامَرْئيَّ
الذي يُشيرُ لهُمْ على رسَّامِ بُورتريهاتٍ مُتَخَفٍّ
ومن جديدٍ، الرِّيحُ.
تلكَ الرِّيحُ، تلك الرِّيحُ هِيَ رُوحِي
هي طلقةٌ أكثرُ، سيقولُ الجيرانُ
هيَ طلقةٌ أكثرُ ضِدَّ حُروبِ النِّسيانِ
الأبديَّةِ.
الحياةُ ذلك الإفلاسُ الشَّرِسُ.

# إلى الشَّيْطانِ المِسْكِين!

(إلى لوث أوخينيا سييرا)

إلَى الرَّجُـلِ التَّراسِي فِي زَاوِيَـةِ النِّسْـيَانِ، إلَى الرَّجُـلِ الَّـذِي بَصَقَـه فُتُوَّاتُ الحَـيِّ القُدَامَى،

إلَى المُتَقَاعِـدِ عَـن ذَاتِـهِ، وَإلَى الوَلَـدِ المُهَـانِ الَّـذِي يَتَخَفَّى خَلْـفَ نَظْرَتِهِ السَّائِلَةِ،

إلَى مَـن يُزْعِـجُ الجَسُـورِينَ فِي حَفْـلٍ، وإلَى الَذِيـنَ لَـمْ تَكُنْ لَدَيْهِـمْ مِهْنَةٌ مَعْرُوفَـةٌ وَلَـمْ يَكُونُـوا يَسْـتَطِيعُونَ أنْ يُتَمْتِمُـوا صُـورَةَ مَلامِـحِ وَجْـهِ أُمَّهَاتِهِـمُ المُسْتَعَادَةُ،

إلَى أولَئِـك الَّذِيـن يَبْـدُونَ دَوْمـاً أنَّهُمْ فِي أيِّ مَكَانٍ آخَـر، وَإلَى الَّذِي يَهْرَبُ مِـنَ النَّظَـرَاتِ حِينَمَا يُبْحَثُ عَنْـهُ فِي الحَدِيقَةِ مَوْضُوعَ حَدِيثٍ لِلسُّـخْرِيَّةِ،

إلَى المُتَاخِـمِ لِفِخَـاخِ الصَّمْـتِ فِي جَوْلَـةِ الحُكَـمَاءِ اللَّيْلِيَّـة، وَإلَى الَّذِيـن يُتَأتِئُـونَ مِثْلَ شَـمْعَةٍ مُشْـتَعِلَةٍ،

إلَى الَّـذِي يَكُـونُ عَـلَى وَشْـكِ أنْ يَفْتَـحَ بَـابَ الطَّـوَارِئِ الَّتِي تَقُـودُ إلَى مَمَرٍّ لِوُلُـوجِ العَالَـمِ الآخَرِ،

إلَى النَّعْجَـةِ السَّـوْدَاءِ لِـلأُسْرَةِ إذْ تَنْقُـر أدْوِيَـة وَأقْرَاصـاً فِي مُحَاوَلَـةٍ لِتَرْهِيـب حَشْـدِ مَخَاوِفِهَـا،

إلَى رئيـس المهزومـين، وإلى المُحْتَقَريـن مِنْ قِبَلِ مَرَايَاهُـم، وَإلَى الَّذِي يُفَضِّـلُ أنْ يَكُـونَ الهَـارِبَ مِنْ جَسَـدِهِ قَبْـلَ أنْ يَكُونَ سَـجَّانَهُ الخَاصَّ،

إلَى الَّذِيـن يَجْهَلُـونَ مَـا يَنْبَغِي أنْ تَكُـونَ عَلَيْهِ الإجَابَةُ حِينَ يُسْـأَلُونَ «مَنْ يَمْـضِي هُنَـاكَ؟» وَإلَى الَذِي «يَضْرِبُونَهُ بِشَـكْلٍ مُبَرِّحٍ بِعَصاً وَيَجْلِدُونَهُ بِشِـدَّةٍ أيْضاً بِالحِبَالِ»،

إلَى الَّـذِي سَـيُغَيِّرُ العِجْـلَ الذَّهَبِّي بِحَدِيـث مَعَ المَنْبُوذِيـن وَأصْحَـابِ الدَّكَاكِـين، وإلَى المُتَهَـوِرِ وَالمُنْذَهِـلِ وَالخَبِيث الَّـذِي يَسْـأَلُ أيْـنَ تَبْقَـى الحَيَـاةُ،

إلَى المُرْتَـابِ الَّـذِي يَعْـرَجُ ظِلُّهُ أكْـثَرَ مِنْ جَسَـدِه، وَإلَى الَّذِينَ تَـم رَكْلُهُمْ أكْـثَرَ مِـنْ كُـرَةٍ فِي مَدْرَسَـةٍ، وَإلَى المُشْـتَبَهِ بِـهِ فِي كُلِّ نُقَـطِ الجَمَارِكِ بِسَـبَبِ مِخْلاتِـه المَلِيئَـةَ بِالفَرَاغِ،

إلَى الَّـذِي لا يَتَمَكَّـن أنْ يَكُونَ فَارِسَ ذَاتِـه، وإلَى الَّذِينَ يُؤَدُّونَ دَوْرَ أطْفَالٍ سِرِّيِّـينَ وَيَلْعَبُونَ فَقَطْ حِينَ لا يُرْغَمُونَ عَلَى التَّسَـوُّلِ،

إلَى الهَرْطُوقِيِّ المَرْسُـوم فِي صُورَةِ لا أحَد، وإلَى المُسْـتَهْجَنِينَ بِصَيْحَاتِ الحُشُـودِ فِي بَلَدِ آلِهَةٍ بَاطِلَةٍ،

إلَى الَّذِيـن تَتَنَافَـر أصْوَاتُهُـمْ فِي الجَوْقَـةِ، وَإلَى الَّـذِي يَرْتَـدُّ صَوْتُـهُ مِثْـلَ صَحْـنِ صُنُـوجٍ صَغِـيرٍ فِي طَقْـمِ طُبُـولٍ وَقَـعَ فِي صَمْـتِ سَـهرةٍ عَـلَى مَيِّـتٍ،

إلَى المُتَهَـوِّرِ الَّـذِي لا يَنْتَظِرُ أنْ يُنِيمَ عَازِفُ النَّـايِ لِبِينَارِيسَ أفْعَى الكُوبْرَا لِـكَيْ يَنْظُرَ فِي عَيْنَيْهَا،

إلَى الرَّجُـلِ البِلَّـورِيِّ الَّـذِي يَعْـبرُ وَسَـط شِجَارٍ بَـيْنَ فَرِيقَـيْنِ مِـنْ نَحَّـاتِي الأحْجَـارِ،

إلَى العُصَـاةِ الَّذِيـن كَانُـوا يَرْغَبُـونَ فِي الإقَامَـةِ بِزَاوِيَـةٍ مِـنْ مَتْحَـفِ

النِّسْيَانِ، وإلَى الَّـذي لا أحَـد يَنْتَظِـرُهُ أثْنَـاءَ العَـوْدَةِ مِـنَ الحَـرْبِ،

إلَى الَّذِيـن يَتِـمُّ إخْلاؤُهُـم مِنْ بُيُوتِهِـم وبَعْدَئِذٍ يَطْرُدُونَهُمْ مِنْ أجْسَـادِهِمْ إلَى الأبَـد، إلَى الفَزَّاعَـةِ الَّتِي يَسْـخرُ مِنْهَا الغُرَابُ،

إلَى النَّاطِـقِ بِاسْـمِ ذَاتِـهِ الَّـذِي يَكْرَهُـهُ أبْنَـاءُ الرَّعِيَّـةِ مِـنْ كُلِّ الأقَالِيـم، وَالَّـذي يَتِـمُّ اقْتِيَـادُهُ إلَى مُفَوَّضِيَّـةِ الشُّرْطَةِ وَهُـوَ يَصْرُخُ أنَّ الحَضَـارَةَ «عَجُوزٌ دَرْدَاءُ»،

إلَى الَّـذي قَامَـرَ بِقَلْبِـهِ فَرَبِحَـهُ مِنْـهُ العُنْـفُ الَّـذِي يُحَـاوِلُ تَنْوِيمَـهُ «فِي العَرَبَـةِ الَّتِي تَقُـودُهُ مِـنَ السِّـجْنِ إلَى حَبْـلِ المِشْـنَقَةِ»،

إلَى الَّـذي لا يَعْـرِفُ سِوَى لُغَـةِ الصَّمْـتِ، وَإلَى الَّـذي يُقَـادُ إلَى المَحْكَمَةِ لِرَفْضِـهِ ارْتِـدَاءَ الـزِّيِّ الرَّسْـمِيِّ لِلْمَوْتَى،

إلَى المُلاحَـقِ الَّـذِي يَتَطَلَّعُ إلَى التَّخَفِّـي فِي قَصِيدَةِ غَجَرِيٍّ وَإلَى الغَجَرِيِّ الَّـذِي يَتَطَلَّعُ إلَى التَّخَفِّـي وَرَاءَ ظِلِّ كَمَانٍ،

إلَى المُقْتَـادِ نَحْـوَ سَـاحَةِ الاسْـتِهْزَاءِ، وإلَى المُحَـاصَرِ بِشِرْذِمَـةِ السَّـالْيِيرِيِّينَ الَّذِيـن يَنْبَحُـونَ ضِـدَّ ظِلِّـه،

إلَى المُفتَرَى عَلَيْهِ مِنْ سَدَنَةِ الحَسَدِ الَّذِينَ يَلْعَنُونَهُ بِلِسَانِ المَوْتَى،

إلَى الَّذِيـن لا يُمَـدِّدُونَ قُبَّعَاتِهِمْ الْتِمَاسـاً لِفُتَاتِ المُعْجِـزَاتِ، وَإلَى الَّذِينَ يُوجَـدُونَ فِي عِنَايَـةِ خَالِقِـي الأوْغَـادِ فِي الصُّحُـفِ اليَوْمِيَّـةِ وَفِي شَـبَكَاتِ البُولِيـسِ،

إلَى المُعْـتَرِضِ الَّـذي يُطْلِـقُ سَـاقَيْهِ لِلرِّيـحِ حِينَـمَا يُدْعَـى إلَى رَصِّ الصُّفُـوفِ فِي فَصِيلَـةِ تَنْفِيـذِ الإعْـدَامِ،

إلَى الَّـذِي يَكْشِـفُ البُـؤْسَ الَّـذِي تُخْفِيهِ الأنَاشِـيدُ وَإلَى الرِّجَالِ المُتَحَرَّشِ بِهِـمْ وَالَّذِيـنَ يَشُـكُّونَ فِي كَـوْنِ كُلِّ نَوَافِـذِ العَالَـمِ عَـلَى وَشْـكِ أنْ تَقْفِـزَ فِي الفَرَاغِ،

إلَى المُرْتَحِلِيـنَ وَأسْـوَارِهِمُ الْهَوَائِيَّـة، إلَى المُلاكِـمِ الَّـذِي يَسْـقُطُ عَـلى

أرْضِيَـةِ الحَلَبَـةِ مُنْتَفِضـاً بِلَكْمَـةِ كُلَّابٍ بِاليُمْنَـى،

إلَى مَجَانِـينِ القَرْيَـةِ الَّذِيَـن يَعْـبُرُونَ مُلْتَحِفِـينَ أرْدِيَـةً مِـنْ أسْـمَالٍ مِثْـلَ مُلُـوكٍ بُؤَسَـاء،

إلَى المُوسِـيقِيِّ المَلْفُـوفِ في مِعْطَـفٍ رَثٍّ وَالَّـذي يَدُلُّـه المُقَاوِلُـونَ عَـلى بَـابِ الخِدْمَـةِ لِلْمَرْقَـصِ المُتَمَهِّلِ،

إلَى الَّـذي يَرْفُـض الاسْـتِمَاعَ إلَى أغْنِيَـةِ بَاعَـةِ الدُّخَّـانِ، وَإلَى القِـطِّ الَّـذي صَـبَّ عَلَيْـهِ الجـزَّارُ مَـاءً سَـاخِناً، وإلَى الحِصَـانِ الَّـذِي تَنْخَسُـهُ مَهَامِيـزُ الخَـوْفِ،

إلَى سَـيِّئِ الحَـظِّ الَّـذي يُمَـارِسُ تَسْـدِيدَ الطَّلْقَـةِ نَحْـوَ الهَـدَفِ وَدَوْمـاً يُصِيـبُ مَرْكَـزَ الخَطَـأ، وَإلَى الطِّفْـلِ المُنْعَـزِلِ الَّـذِي يَتَجَسَّـسُ عَـلَى الحَيَـاةِ مِـنْ خِـلالِ ثُقُـوبِ المَزَالِيـجِ،

إلَى مُعَكِّـرِ صَفْـوِ الأفْـرَاحِ وَإلَى الَّذِي يَأتي مُتَأخِّراً لِسَـهْرَةِ المَيِّتِ، سَـهْرَتِهِ الشَّـخْصِيَّة، وإلَى المَحْبُوسِـينَ في أقْفَاصٍ مِنْ قِبَلِ كُلِّ الطُّغَاةِ،

أهْـدِي إلَيْهِـمْ هَـذِهِ الجَوْلَـةَ مِـنَ الكَلِـمَاتِ دُونَ أمْجَـادٍ: بَعْضُهَـا عَـلَى جِلْـدِي يَتَعَايَـشُ بِـلا أمَـلٍ.

# أبوابٌ مُشْرَعةٌ

بَابٌ
مشْرَعَةٌ على اللَّيْلِ
والجَلبَةُ تسكنُ
الأمكنةَ.

يُعْلِنُ صَريرُ
مَفصلاتِهَا
أنَّ شَخْصاً ما قادمٌ مِنَ المَطَرِ
أو خطواتِ حَيَوانٍ مُتَمَهِّلٍ
يَجْتاحُ الحُلْمَ.

بَابٌ، شَقٌّ
مَفتوحٌ في الدَّهْشَةِ.

# لائحةٌ سوداءُ

أضَعُ اللائحَةَ السَّوْداءَ لِرَيْبَاتِي وَسَطَ بِلادٍ أُبِيدَ جَمْعٌ عَارِمٌ مِنْ سُكَّانِها

ولسْتُ أدْري هَلِ الرَّسَائِلُ الَّتِي لا تَصِلُ تُفتضُّ مِثْلَما الأحْلامُ...

(في الفَجْـرِ يَتَجَمَّـدُ المَطَـرُ مِنَ الـبَرْدِ ورُبَّما تُصْمِـتُ العَاصِفَةُ طَلَقـاتٍ بعيدةً...)

لسْتُ أدْري، بالتَّحْدِيدِ إنْ كَانَ فِي بِلادِي رَجُلٌ يُبْحَثُ عَنْهُ
فِي المَدِينَةِ بِالمِصْبَاحِ الخَفِيِّ لأحَدِ لصُوصِ الأحْلامِ...

(... شَـخْصٌ مَـا عَـلَى حَافَةِ هُـوَّةٍ رُبَّمَا يَشْرَعُ فِي رَسْـمِ بُورْتْرِيه نَاطِقٍ لِمَلاكٍ...)

ولمَّـا يَـأتِي اللَّيْـلُ أوْ أَلِـجُ الحُلـمَ مِثْلَ قِطَـارٍ يُخْرِجُنِي مِـنْ بِلادٍ مُعْتِمَـةٍ، أفكِّرُ
إنْ كَانَ ثمَّـةَ حَارِسٌ خفيٌّ سَـيُقرِّرُ أنْ يُطَبِّـقَ عَلَيَّ أحْكَامَ قَانُونِ الهُـرُوبِ مِنَ الأحْلامِ...

# حُلْمٌ

تسْطَعُ الشَّمْسُ بَيْنَ أوْرَاقِ السُّرْخُس
حَيْثُ يَنَامُ الأطْفَالُ
وَيَعْبُرُ مَلاكٌ أحْمَرُ مُتَثائِباً.
وَبَعِيداً تمْتَلِئُ البَاحَاتُ المُجَاوِرَةُ
بِأُنَاسٍ يُرَتِّقُونَ الهَوَاءَ
بِإبْرَةِ حَدِيثِهِمُ الهَامِسِ.
شَخْصٌ مَا يَزْرَعُ مَواكِبَ نُجُومٍ،
وَبَيْنَ ألْعَابٍ مُقدَّسَةٍ
وَدَيَامِيسَ بَيْضَاءَ
أنْتِ وَأنَا: شَرْنَقَتانِ مِنَ الرِّيحِ.

# قصيدة صحبة طفل وميزان

*الكرةُ التي رميتها في الطفولةِ بعد لم تلمس الأرضَ.*
*(ديلان توماس)*

قد كنتُ طفلاً متوحِّداً.
لم يكنْ لديَّ أحدٌ يدفع
بي الأرجوحة.
كان يروقني
أن أصعدَ زحلوقة الحديقةِ
وبما أنه لم يكنْ يوجد طفلٌ
ليركب على الطرفِ الآخر،
كنتُ أضعَ بدلاً منه
كيساً من الحجارةِ.

الإحساسُ
بأنك تبقى معلقاً
كان يفتنني. والأصعبُ
كان القيامُ بحسابٍ
لوزن الأحجارِ
لكي تصعد
لمَّا أنزلُ أنا
وينزلوا متى أعودُ
لأرتفع نحو السماء.
أحياناً كنتُ أبقى
لوقتٍ طويلٍ معلقاً
حتى يأتي الحارسُ
ليُزيحَ أكوامَ الأحجارِ.
هذا يُفسر لماذا أحيا
مراتٍ ليست قليلة في الهواءِ.

# أُغْنِيَّةُ فِلِسْطِينْ

رَأَيْتُ زَهْرَةً تُشْبِهُ مِنْقَارَ الطُّوقَانِ،
رَأَيْتُ طِفْلاً يَعْزِفُ الكَمَانَ فِـي الحَدِيقَةِ،
رَأَيْتُ الرِّيحَ تَعْبرُ مُتَسرْبِلَةً بِأَشْجَارِ الجوْزِ
لَكِنِّي اليَوْمَ لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَحَدَّثَ
عَنْ شَيْءٍ آخَرَ سِوَى زَهْرةِ دَمٍ فِـي بَيْرُوتَ،
مُخْتَلِفَةٍ عنْ طِفْلِ بَيْروتَ بِلَا وَجْهٍ،
مُخْتَلِفَةٍ عَنِ الرِّيحِ المُتَسربِلَةِ بِالانْتِحَابَاتْ.
فِـي كلّ صَمْتٍ ثَـمَّةَ رَجُلٌ فِلِسْطِينيٌّ مُتخَفٍ.
الطَّرِيقُ إِلَـى بَيتِي يَغْدُو طَوِيلاً
لِأَنَّنِي إِذْ أَمْشِـي بِاتِّجَاهِهِ
أَتَذكّرُ أَنَّ مَرْكَزَ ذَاتِـي فِـي فِلِسْطِينْ.
وَإِذَا قَالَ لِـي أَحَدٌ لَيْسَ ثَـمَّةَ فِلِسْطِينْ،
حِينَئِذٍ مَرْكَزُ ذَاتِـي سَيَسْقِيهِ العَالَمُ،
هُوَ هُنَالِكَ، حَيْثُ لَيْسَ ثَـمَّةَ خَرِيطَةٍ، فِـي الحُلْمِ سَيَكُونُ.

# فهرس القصائد


تقديم ..... 5
رِسالةٌ بِاتِّجَاهِ بِلادِ الغَال ..... 13
رِسَالةٌ فِي صُنْدُوقِ بَرِيدِ الرِّيح ..... 17
منفيون ..... 21
زجاجاتُ غريق ..... 22
مكتبة العميان ..... 23
خطبة الذي لم يذهب إلى الحرب ..... 25
ليلة شجرة الماهون ..... 27
أصواتٌ وإشاراتٌ ..... 29
قصيدةٌ مع اللصوص ..... 31
بينيلوب والنسيان ..... 33
منذ أكثر منْ عِدَّةِ شموسٍ ..... 35
السَّاحِرُ ..... 37
جولةُ المُرتحِلين ..... 39
مواطن الليل ..... 41
سوناتا المطر ..... 47
أغنيةُ صانعِ المَرايا ..... 50
مونولوج الخيَّاط ..... 51

نجمة في الذاكرة ..... 53
ليلية المتوحد ..... 55
يوميات الليلية ..... 57
بيتُ الموسيقى ..... 59
ابتهالاتُ الموسيقيّ ..... 60
قنَّاصٌ مُتدرِّبٌ ..... 61
مونولوج الراقصّة ..... 63
مونولوج البهلوان ..... 65
مونولوج الغجرية ..... 67
طبيعةٌ ميِّتَة ..... 69
أمثولة اليدين ..... 71
جدارية الأقنعة ..... 73
شاهدة قبر مفسد الأفراح ..... 75
ليلية المتشرد ..... 77
طوافاتُ النَّهْبِ في بيت السَّيِّد رامبو ..... 79
- فنونُ الصَّمْتِ ..... 80
- النَّارُ كانتْ بيتَهُ ..... 80
- القلمُ الليليُّ ..... 81
- القرية ..... 82

- ظِلُّ رامبو ..... 83
- أُسَرٌ قديمَّة ..... 84
- النُّقاعة ..... 85
- بخيلٌ مِثلَ البحر ..... 86
- رسالةٌ بلا عودةٍ ..... 87
فرضيَّاتُ لا أحد ..... 89
سيرة لا أحد ..... 92
كلابُ لا أحد ..... 93
شهادة الرسام الصيني ..... 97
قصيدَةٌ اِجْتاحَها الرُّومانُ ..... 99
آخرُ غُرْزَةٍ في الماء ..... 103
من حزبِ لا أحد ..... 105
صمتُ شهرزاد ..... 107
شهادة شهرزاد ..... 11
شهادة سبارتاكوس ..... 113
أمراضُ الرُّوحِ ..... 115
اعترافُ بَطلٍ مُضادّ ..... 121
كلماتٌ في الضَّباب ..... 123
في مقهى العالم ..... 125

مُذَكِّرَاتُ مُثِيرِ الأَحْلامِ ..... 129
جيلٌ ..... 131
رَجُلُ المِسْلاطِ ..... 135
حُزنُ الأشياء ..... 139
تعازيم لإقامة تمثال ..... 143
بين خرائب وتماثيل ..... 147
مَعَارِكُ مِنْ وَرَقٍ ..... 151
اعْتِرَافُ المُتوحِّد ..... 153
خارِطَةُ المَشَّاءِ ..... 155
مَكْتَبَةُ عَجُوزٍ ..... 157
الحَالَةُ الغَرِيبَةُ لِلْجَسَدِ ..... 159
المُعَامَلاتُ القَدِيمَةُ ..... 161
مونولوج خوسيه أسونثيون سيلفا ..... 163
إلى الشَّيْطانِ المِسْكِين ..... 167
أبوابٌ مُشْرَعةٌ ..... 171
لائحةٌ سوداءُ ..... 173
حُلْمٌ ..... 175
قصيدة صحبة طفل وميزان ..... 177
أغنية فلسطين ..... 179

# صدر في سلسلة

كتاب الدوحة

| | | |
|---|---|---|
| | 2011 | |
| 1 | طبائع الاستبداد | عبد الرحمن الكواكبي |
| 2 | برقوق نيسان | غسان كنفاني |
| 3 | الأئمة الأربعة | سليمان فياض |
| 4 | الفصول الأربعة | عمر فاخوري |
| 5 | الإسلام وأصول الحكم - بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام | علي عبدالرازق |
| 6 | شروط النهضة | مالك بن نبيّ |
| 7 | صلاح جاهين - أمير شعراء العامية | محمد بغدادي |
| | 2012 | |
| 8 | نداء الحياة - مختارات شعرية - الخيال الشعري عند العرب | أبو القاسم الشابي |
| 9 | حرّية الفكر وأبطالها في التاريخ | سلامة موسى |
| 10 | الغربال | ميخائيل نعيمة |
| 11 | الإسلام بين العلم والمدنيّة | الشيخ محمد عبده |
| 12 | أصوات الشاعر المترجم - مختارات من قصائده وترجماته | بدر شاكر السياب |
| 13 | امرأتنا في الشريعة والمجتمع | الطاهر حداد |
| 14 | الشيخان | طه حسين |
| 15 | ورد أكثر - مختارات شعرية ونثرية | محمود درويش |
| 16 | يوميات نائب في الأرياف | توفيق الحكيم |
| 17 | عبقرية عمر | عباس محمود العقاد |
| 18 | عبقرية الصدّيق | عباس محمود العقاد |
| 19 | رحلتان إلى اليابان | علي أحمد الجرجاوي/صبري حافظ |
| | 2013 | |
| 20 | لطائف السمر في سكان الزُّهرة والقمر أو (الغاية في البداءة والنهاية) | ميخائيل الصقال |
| 21 | ثورة الأدب | د. محمد حسين هيكل |
| 22 | في مديح الحدود | ريجيس دوبريه |
| 23 | الكتابات السياسيّة | الإمام محمد عبده |
| 24 | نحو فكر مغاير | عبد الكبير الخطيبي |
| 25 | تاريخ علم الأدب | روحي الخالدي |
| 26 | عبقرية خالد | عباس محمود العقاد |
| 27 | أصوات الضمير | خمسون قصيدة من الشعر العالمي |
| 28 | مرايا يحيى حقي | يحيى حقي |

| | | |
|---|---|---|
| 29 | عبقرية محمد | عباس محمود العقاد |
| 30 | عبدالله العروي من التاريخ إلى الحب | حوار أجراه محمد الداهي |
| 31 | فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللّغة العربيّة | مجموعة مؤلفين |
| | **2014** | |
| 32 | عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حداد) | ترجمة: شرف الدين شكري |
| 33 | سِراج الرُّعاة (حوارات مع كُتاب عالميّين) | خالد النجار |
| 34 | مقالة في العبودية المختارة (إيتيان دي لابويسيه) | ترجمة: مصطفى صفوان |
| 35 | عن سيرتَي ابن بطوطة وابن خلدون | د.بنسالم حِمّيش |
| 36 | حي بن يقظان - تحقيق: أحمد أمين | ابن طفيل |
| 37 | الإصبع الصغيرة - ترجمة: د.عبدالرحمن بوعلي | ميشال سار |
| 38 | محمد إقبال - مختارات شعرية | محمد إقبال |
| 39 | تزفيتان تودوروف (تأمُّلات في الحضارة، والديموقراطية، والغيرية) | ترجمة: محمد الجرطي |
| 40 | نماذج بشرية | أحمد رضا حوحو |
| 41 | الشرق الفنّان | د.زكي نجيب محمود |
| 42 | تشيخوف - رسائل إلى العائلة | ترجمة: ياسر شعبان |
| 43 | إلياس أبو شبكة «العصفور الصغير» | مختارات شعرية |
| | **2015** | |
| 44 | لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟ | الأمير شكيب أرسلان |
| 45 | مختارات من الأدب السوداني | علي المك |
| 46 | رحلة إلى أوروبا | جُرجي زيدان |
| 47 | المُعتمدُ بنُ عبَّاد في سنواته الأخيرة بالأسر | د.عبدالدين حمروش |
| 48 | تاريخ الفنون وأشهر الصور | سلامة موسى |
| 49 | من أجل المسلمين | إيدوي بلينيل - ترجمة: عبداللطيف القرشي |
| 50 | زِينة المعنى (الكتابة، الخط، الزخرفة) | يوسف ذَنّون |
| 51 | الواسطة في معرفة أحوال مالطة | أحمد فارس الشدياق |
| 52 | النخبة الفكرية والانشقاق | د. مُحسن الموسوي |
| 53 | ياسمينة وقصص أخرى | إيزابيل إيبرهاردت |
| 54 | آباي (كتاب الأقوال) | ترجمة وتقديم: بوداود عمير |
| 55 | مأساة واق الواق | ترجمة: عبدالسلام الغرياني |
| | **2016** | |
| 56 | بين الجزْر والمدّ (صفحات في اللّغة والآداب والفنّ والحضارة) | محمد محمود الزبيري |
| 57 | ظلّ الذّاكرة (حوارات ونصوص من أرشيف «الدوحة») | مي زيادة |
| 58 | الرحلة الفنّية إلى الديار المصريّة (1932) تحقيق: رشيد العفاقي | قسم التحرير «مجلّة الدوحة» |
| 59 | قيصر وكليوبترا | أليكسي شوتان -تعريب: عبد الكريم أبو علو |
| 60 | الصين وفنون الإسلام | إسماعيل مظهر |
| 61 | براعمُ الأمل (مُختارات شِعْريّة للكاتب الصيني وانغ جو جن) | ترجمة: مي عاشور |
| 62 | التّوت المُرّ | محمد العروسي المطوي |
| 63 | درب الغريب | غونار إيكليوف |
| 64 | من والد إلى ولده | أحمد حافظ بك |
| 65 | التلـميذ | بول بُورجيه |
| 66 | ملحَمة جلجامِش | تقديم وترجمة: طه باقر |
| 67 | أريجُ الزّهر | الشيخ مصطفى الغلاييني |

| | | |
|---|---|---|
| | **2017** | |
| 68 | اعترافات إنسان | محمّد فريد سيالة |
| 69 | مريود | الطيب صالح |
| 70 | المقالات الصحفية | عبدالله كنون |
| 71 | قصص قصيرة | نجيب محفوظ |
| 72 | بول بولز - يوميات طنجة | إبراهيم الخطيب |
| 73 | فنّ الحَياة | سلامة موسى |
| 74 | أَقْوَمُ الْمَسَالِكِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْمَمَالِكِ | خير الدين التونسي |
| 75 | كتاب الأخلَاق | أحمد أمين |
| 76 | رِحْلَةٌ جَبَلِيَّةٌ رِحْلَةٌ صَعْبَة | فدوى طوقان |
| 77 | قِطافٌ (مُختَارَات مِن اَلْقِصَّةُ الْقَصِيرَةُ فِي قَطَر) | مجموعة من الكتاب |
| 78 | الرحلة الجوية في المركبة الهوائية (من شرقي إفريقية إلى غربيها) ج: 1 | جول غابرييل فيرن، ترجمة: يوسف اليان سركيس |
| 79 | الرحلة الجوية في المركبة الهوائية. ج: 2 | جول غابرييل فيرن، ترجمة: يوسف اليان سركيس |
| | **2018** | |
| 80 | مذكرات دجاجة | إسحق موسى الحسيني |
| 81 | ماذا يقول غاندي عن اللاعنف والمقاومة والشجاعة؟ | نورمان ج. فينكلستاين- ترجمة: أحمد زراقي |
| 82 | نشأة اللوحة المسندية في الوطن العربي | د. نزار شقرون |
| 83 | مِن سِيَر الأَبْطَال والعُظَمَاءِ القُدَماء | إس. إس. بيو - ترجمة: يعقوب صروف - فارس نمر |
| 84 | مقالاتٌ في الأدب العربيّ | إغناطيوس كراتشكوفسكي |
| 85 | سِرُّ النَّجَاح | صموئيل سمايلز - ترجمة: يَعقُوب صَرُّوف |
| 86 | مِنْ آثَارِ مُعَاوِيَة مُحَمَّد نُور | مُعَاوِيَة مُحَمَّد نُور |
| 87 | إِنشَاءُ المُكَاتَبَاتِ العَصْرِيَّة | أحمد الهاشمي |
| 88 | أجراس أكتوبر - مُخْتَاراتٌ مِنَ الشِّعْرِ السُّوفْيِيتِّي | ترجمة: عبدالرحمن الخميسي وآخرين |
| 89 | حكايات من لافونتين | اختارها وترجمها: جبرا إبراهيم جبرا |
| 90 | مع بورخيس | ألبيرطو مانْغيل - ترجمة : إبراهيم الخطيب |
| 91 | الرواية الجديدة والواقع | لوسيان جولدمان، ناتالي ساروت، آلان روب غرييه، جينفياف مويلو. ترجمة: رشيد بنحدو |
| | **2019** | |
| 92 | غزلان الليل (حكاياتٌ شعبيَّة أمازيغيَّة) | إميل لاوست - ترجمة: إدريس الملياني |
| 93 | الذُّبَابَةُ | المؤلف: جورج لانغلان - ترجمة: خليفة هزّاع |
| 94 | ترجمة النفس (السيرة الذاتية عند العرب) | عبد اللطيف الوراري |
| 95 | صندوق العجائب | أحمد الصفريوي - ترجمة: رشيد مرون |
| 96 | النقد الأدبي | كارلوني وفيلو - ترجمة: كيتي سالم |

## من إصدارات سلسلة كتاب الدوحة

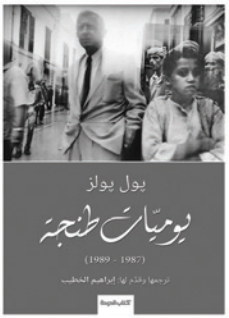

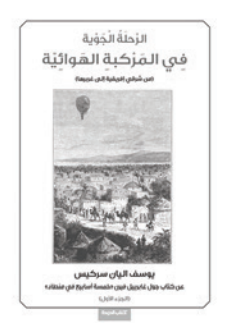

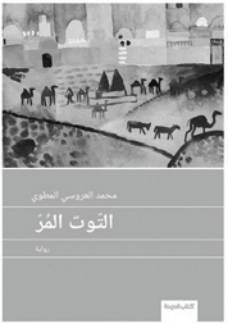

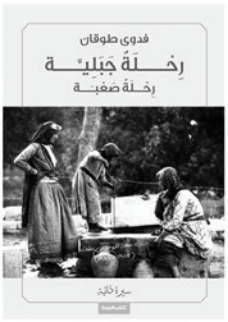


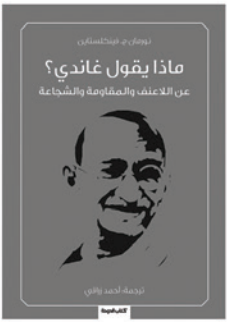

# أُغْنِيَّةُ فِلِسْطِينْ

رَأَيْتُ زَهْرَةً تُشْبِهُ مِنْقَارَ الطُّوقَانِ،
رَأَيْتُ طِفْلاً يَعْزِفُ الكَمَانَ فِي الحَدِيقَةِ،
رَأَيْتُ الرِّيحَ تَعْبُرُ مُتَسَرْبِلَةً بِأَشْجَارِ الجوْزِ
لَكِنِّي اليَوْمَ لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَحَدَّثَ
عَنْ شَيْءٍ آخَرَ سِوَى زَهْرَةِ دَمٍ فِي بَيْرُوتَ،
مُخْتَلِفَةٍ عنْ طِفْلِ بَيْروتَ بِلاَ وَجْهٍ،
مُخْتَلِفَةٍ عَنِ الرِّيحِ المُتَسربِلَةِ بِالانْتِحَابَاتْ.
فِي كلّ صَمْتٍ ثَـمَّةَ رَجُلٌ فِلِسْطِينيٌّ مُتخَفٍ.
الطَّرِيقُ إِلَى بَيتِي يَغْدُو طَوِيلاً
لِأَنَّنِي إِذْ أَمْشِي بِاتِّجَاهِهِ
أَتَذكّرُ أَنَّ مَرْكَزَ ذَاتِي فِي فِلِسْطِينْ.
وَإِذَا قَالَ لِي أَحَدٌ لَيْسَ ثَـمَّةَ فِلِسْطِينْ،
حِينَئِذٍ مَرْكَزُ ذَاتِي سَيَسْقِيهِ العَالَمُ،
هُوَ هُنَالِكَ، حَيْثُ لَيْسَ ثَـمَّةَ خَرِيطَةٍ، فِي الحُلْمِ سَيَكُونُ.

دولة قطر
وزارة الثقافة والرياضة
كتاب الدوحة